

[illegible] 1366



ثقافة الهند

Vol LI No 3 2000

المجلد ٥١ العدد ٣

٢م



المجلس الهندى للعلاقات الثقافية



مجلة علمية، ثقافية، جامعة، فصلية

ثقافة الهند

المجلد ٥١ العدد ٣

٢م



المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

آزاد بهون، نيو دلهي

الهند

إن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية منظمة حرة لوزارة الشؤون الخارجية للحكومة الهندية أنشئ عام ١٩٥٠م لإنشاء وتنمية العلاقات الثقافية و التفاهم المتبادل بين الهند و البلدان الأخرى وضمن برنامج مطبوعاته ينشر المجلس بين ما ينشر عدة مجلات ففي العربية ثقافة الهند وفي الانكليزية Indian Horizons و Africa Quarterly وفي الفرنسية Rencontre Avec L'Inde وفي الاسبانية Papeles de la India وفي الألمانية Indien in der Gegenwart في الهندية Gaganaanchal وكلها يصدر أربع مرات في السنة

و المراسلات المتعلقة بالاشتراك و دفع الثمن و بشؤون الطباعة و النشر موجه إلى:

The Programme Director (Pub.)
Indian Council for Cultural Relations
Azad Bhavan, Indraprastha Estate
New Delhi 110002 (INDIA)

و حقوق جميع المقالات المنشورة في ثقافة الهند محفوظة فلا يجوز نشرها بدون الإذن و الآراء التي تحويها المقالات هي آراء شخصية للمساهمين و الكتاب و لا تعكس سياسة المجلس بالضرورة

بدل الاشتراك للمجلات الصادرة عن المجلس كالآتي :

ثمن النسخة	الاشتراك السنوي	اشتراك ثلاثة أعوام
٢٥ روبية	١ روبية	٢٥ روبيه
١ دولارات	٤ دولارا	١ دولار
٤ جنيهات	١٦ جنيها	٤ جنيها

نشرها وطبعها السيد هيمانشو سوم المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية
آزاد بهون نيو دلهي الهند.
طبعت في مطبعة سابرارت لتارميشنس برائيويت لميتيد
سي ٢ كابو بسلمبار ستدول ناغر نيو دلهي ٤٩ الهند

رئيس التحرير البروفسور زبير أحمد الفاروقي

مجلة ثقافة الهند الفصلية

المجلد ٥١ العدد ٣

٢م

محتويات العدد

كلمة التحرير — د/ زبير أحمد الفاروقي

ـ سحر رامايانا جنوب شرقي آسيا — ١ ـ ٢٥

ستكارى هوجو باديا

ـ تأثير الفلسفة و الفكر الهنديين في شعر اقبال — ٢٦ ـ ٧

سيد مظهر حسين برني

ـ غاندي كما تصوره الصحف المصرية، مواقف ممتعة — ٧١ ـ ٩

د/ جلال السعيد الحفناوي

ـ العلوم و التكنولوجيا في الهند من القرن العاشر إلى الثامن عشر — ٩١ ـ ١

د/ إيه رحمـــــــان

ـ مساهمة الاوربيين في تطوير الفكرة البيئية في الهند ١١١ ـ ١٢٨

رام تشـــــدرا كوها

ـ تاثير الهند في الثقافة العربية و آدابها ١٢٩ ـ ١٣٤

د/ سعيد الرشـــــدي

ـ اهمية اللغـــة العربيـــة ١٣٥ ـ ١٤٤

الأستاذ بشار احمد الفاروقي

كلمة التحرير

هذا العدد مثل الاعداد السابقة للمجلة تحتوي على عده مقالات هامه ومنها سفر رامايانا جنوب شرقي آسيا وكتبه شيكاري موخو باديا ذكر فيه المكانة الدينية و الادبية لرامايانا - الكتاب المقدس لدى الهندوس - الذي يحوي قصة او اسطورة راما الشهيرة و المقال يتضمن معلومات ممتعة و مثيرة عن شعبية هذه الأسطورة في بلدان جنوب شرقي آسيا بما فيها ماليزيا و اندونيسيا رغم ان اغلبيه سكانهما من المسلمين و قد الفت عدة كتب حول هذه الاسطورة في اللغات المحلية في هذه البلدان ولا يقتصر تاثير الأسطورة في الفنون الادبية و المسرحية فقط و إنما يظهر بصورة ملموسة في الفنون التشكيلية ايضا ومما يدل على عمق تاثير هذه الاسطورة في الثقافة المحلية للمنطقة ان شعب بعض هذه الدول يعتقد ان احداث القصة وقعت على ارضه لا في الهند.

الشاعر الفيلسوف العظيم لشبه القارة الهندية - اقبال لم يدرس الفلاسفة الغربيين او المفكرين الاسلاميين فقط و انما تاثر بالنساك و المفكرين الهندوس على السوا هذا ما حاول اثباته سيد مظهر حسين برني الناقد المعروف للشاعر في مقاله تحت عنوان تاثير الفلسفه و الفكر الهنديين في شعر اقبال مؤكداً ان اقبال كان متاثرا لحد كبير بالمفكرين الهندوس مثل كابيل و شنكر لتشاريه و اعترف بتفوق الهندوسية في الشعور الفلسفي العميق وبان بعض الطرق الصوفية اتخذ من الفيدانت الهندية وسيلة للوصول إلى مرتبة شهود الغيب - و قد حاول الكاتب ان يبحث عن آثار الفيدانت و الاوبانيشاد و الفيدا و بهاغوت غيتا و كذلك الديانة البوذية في شعر اقبال خاصة في شعره الفارسي و بهذا الصدد نقل مجموعة كبيرة من ابياته و بالجملة فان الكاتب قام بكشف ميزات عديدة خافية لشخصية اقبال

في مقال آخر عنوانه غاندي كما تصوره الصحف المصريه مواقف ممتعة قد جمع د/ جلال السعيد الحفناوي معظم ما كتبه الصحف المصرية

عن المهاتما غاندي و الأبعاد المختلفة لكفاحه من أجل استقلال الهند و حركته الاصلاحيه الاجتماعية و عاداته اليومية و ما إلى ذلك. و تدل هذه الكتابات على مدى الاجلال و التقدير لشخصية غاندي بصفته زعيم الإنسانية جمعاء لدى المصريين

و يحتوي العدد أيضا على مقال حول أهمية اللغة العربية كتبه الأستاذ مختار احمد الفاروقي و أبرز فيه جوانب مختلفة جديدة لاهمية لغة الضاد مؤكداً أنه ما من لغة هندية إلا و هي متأثرة باللغة العربية في قليل او كثير و حتى أن الباحثين اللغة الانجليزية مستعارة من اللغة العربية

و في مقال وجيز آخر قام د/ محمد الزبيدي بتسليط الضو على الجوانب المختلفة للتأثير الهندي في الثقافة العربيه خاصة في مجالات الحساب و الفلك و التصوف و الطب و الكيمياء و العقائد و الفلسفة و الادب مما يدل على أن الهند لم تقتبس فقط من العرب و حضارتهم و إنما اسهمت في اثراء الثقافة العربية أيضا بعدة طرق

كما استعرض د/ ايه رحمان تطور العلوم و التكنولوجيا في الهند في الفترة ما بين القرن العاشر و القرن الثامن عشر و ذكر العوامل التي كان هذا التطور رهن لها مشيرا إلى اسهامات الباحثين المتوافدين من البلدان العربية و إيران و آسيا الوسطى و الاهتمام الذي أعاره الملوك المسلمون لنشاط التأليف و الترجمة و ما الى ذلك

قضية البيئة و الحاجة الملحه لإصلاح الوضع البيئي يرتبط وثيق ارتباط بالحوائج الأساسية للإنسان، و لذا فان هذه القضيه من القضايا التي تشغل بال الشعوب و الحكومات بالدرجه الرئيسية على الصعيد العالمي في الوقت الحاضر و الهند أيضا تزداد وعياً بهذه القضية، و في مقال تحت عنوان مساهمة الاوربيين في تطوير الفكرة البيئية في الهند حاول كلتهه رام تشندرا كوها سرد تاريخ نشأة الوعي البيئي و تطوره في الهند بمراحله المختلفة

د/ زبير أحمد الفاروقي

سعر رامايانا جنوب شرقي آسيا

بقلم ستكاري موخوبادیا

(العظمة و المجد لمولى راما الذي هو تجسيد لإله هاري و مثال لجميع أنواع السلوك و التصرفات الحميدة و اكبر سليل لأسرة راغو و بحر من الرحمة و الشفقة و الذي قطع على نفسه عهدا بقمع الشر و نصرة الحق و الصدق و العمل من أجل رفاهية الناس و الذي تطريه الآلهة و البشر على حد سواء)

(و كذلك ليكن المجد لأول شاعر الناسك فالميكي الذي ينتمي إلى عشيرة باراستاس و الذي سرد قصة حياة راما و أعماله بكل نجاح و الذي تحول مشاعر حزنه لدى مشاهدته موت طائر على يد صياد - إلى بيت شعر و الذي يعم سهرته المناطق النائية و تضاهي سهرة الميل السماوي الأبيض و زهرة كندا)

تقديم

لم تزل قصة راما أو أسطورة راما مصدرا ثابتا و دائما للإلهام للمنتمين و السواد الأعظم على حد سوا في بلدان آسيا الساسعة منذ القرون و حدثت عددا أكبر فأكبر من الكتاب من اللغات المختلفة التي لا عد لها و لا حصر بفضل قداستها و مكانتها النسبية التي لا مثيل لها في تاريخ آداب العالم

يعتبر رامايانا" الذي وضعه فالميكي أقدم الاعمال الأدبية الباقية حول أسطورة راما، و يعيد التقليد الهندي إلى فالميكي عاش في زمن راما أي معناه

انه وضع "راماينا" حسب التقويم الهندوسي في "تيرتا يوغا" ومع أن بعض الناس يميلون إلى قبول هذا التقليد كما هو متداول ولكن البحوث المؤخرة اثبتت أن نص "راماينا" كما يوجد بين أيدينا يرجع تاريخه إلى القرن السابع أو الثامن قبل الميلاد على أقل تقدير

و يعني فالميكي بنفسه

ستستمر عملية سرد أسطورة راما (أي راماينا) بين الناس مادامت الجبال و الأنهار باقية على وجه الأرض (راماينا ٤ : ٢ : ١٢٣)

نحن نعتقد أن فالميكي لم يقصد التفاخر في البيت المذكور اعلاه حول جودة تأليفه بل إنها لمنية القلبية و أصبحت امنية الناسك حقيقة نبوية، و مع مضي سبعة و عشرين قرنا طويلا على تأليف فالميكي لـ "راماينا" لم تتقلل عظمته و تأثيره إطلاقا بما معناه أن "راماينا" سوف يتجاوز حدود الزمان و المكان و إنه سيتجاوز حدود الهند نحو الغرب و الشمال و الشرق

قد يكون القارئ متلهفا إلى معرفة المكان الذي ألف فيه فالميكي شعره الخالد و من أين بدأت قصة راما سفرها نحن نقرأ في راماينا

بعد برهة قليلة من وفاة "ناردا" ذهب الناسك فالميكي إلى شاطئ نهر تماسا الذي ليس ببعيد عن "جهنافي" (أي نهر الغنج)

يقع شاطئ نهر تماسا في وادي الهملايا، و هذا هو المكان الذي بدأ منه "راماينا" سفره و لا يخفى علينا أن النسخ المختلفة لـ "راماينا" في اللغات الإقليمية على سبيل المثال "راماينا" من تأليف كامبار باللغة التاميلية، و "راماينا" من تأليف كيرتيباسا باللغة البنغالية و رام تشاريتر ماناس من تأليف تلسي داس باللغة الأودهية، و "ادياتما راماينا" من تأليف إيلوتاكان باللغة

العالمية وغيرها من النسخ ليست مجرد ترجمة رامايانا لفالميكي بل إنها تأليف و تكييفات إقليمية لأسطورة راما حسب الثقافات و العادات المحليه و هذا ينطبق تماما على كافة نسخ رامايانا المتداوله في جنوب آسيا حيث عكس موضوع رامايانا على ضو الأوضاع الاجتماعيه و التقاليد الثقافيه و المعتقدات الدينيه السائدة في تلك البلدان

التبت

من الممكن أن نبدأ قصة سمر رامايانا من التبت حيث وضعت التأليف العديدة حول أسطورة راما، و أكتشف ستة أجزاء من مثل هذه التأليف في دون هوانغ و يعتقد أن هذه التأليف وضعت بين السنوات ٧٨٧ ـ ٨٤٨ الميلادية و هذه النصوص غيرمكتملة لقد كتب السيد إف دبلو توماس مقالا مسهبا في عام ١٩٢٩م يحتوي على تفاصيل ترجمه ثلاثة أجزاء غير مكتملة لرامايانا باللغه التبتية، و هي موجودة في المكتبة الهندية بلندن و الجزء الآخر الذي محتفظ لدى المكتبة الوطنية باريس تم دراسته و تصحيحه ثم ترجمته إلى اللغه الفرنسية من قبل جي كيه بالبير، و نشرت هذه النسخة في عام ١٩٦٣م و قام السيد جيه دبلو دي جونغ بجمع هذه الأجزاء و نشرها في شكل نص مركب في عام ١٩٧٧م في مجله (Indo-Iranian Journal 19 1 2) و يتسم رامايانا باللغة التبتية بالتشابه و التباين كليهما مع رامايانا لفالميكي و تقول النسخة التبتية إن سيتا كانت بنت داسا غريفا (أي رافانا) و هجرت بناء على مشورة منجومي و ربيت على أيدي الفلاحين كما قيل في هذه القصه إن الإله فيشنو وُلد في شكل راما ابن الملك داسرتها رضوخا لإرادة الآلهة لمرض القضاء على "رافانا" و أن راما سمح لأخيه الصغير "لكسمان" تولي الملكية كما جا فيها أن رافانا خلال اختطافه لـ سيتا لم يمسها بل نقلها مع الكوخ الذي كانت تسكنها

ميانمـــــار

تسـير السـجلات الـتاريـخيـة و الـنـقـوشية الموجودة إلى أن الديانات البرهمية و البوذية دخلت بورما في وقت واحد و بشكل مندمج في القرن الثاني الـميلادي وثمة أسباب عديدة تدل على وجود و سيطرة التيار الفيشنوي من الـديانـة الـرهـمـيـنـيـة منها بنا عدد من المعابد الفيشنوية و وجود مدينة باسم فـيشـنـوبورا وخـلال حـكم الملك اناوراتا في القرن الحادي عشر الميلادي بني مـعـبد فـيشـنوي في مدينة باغان حيث صنع تماثيل لـ رلما بين تجسيدات فـيشنو الأخرى و بنا على هذا يمكننا ان نستنتج بأن أسطورة راما أصبحت معروفة جدا في بورما منذ القرن العاشر الميلادي على أقل تقدير

و أقدم وثيـقـة مـكـتـوبـة باللغة البورمية حول أسطورة راما هو كتاب راماوفاستو الـذي يـرجـع تاريخه إلى القرن السابع عشر الميلادي، يقدم هذا الـكـتـاب قصة راما في ري بوذي و يصور "راما تجسيدا لـ بوذا و يذكر أن راما بعد تـصـرع الآلـهـة نزل من سماء توسيتا من حيث نزل جميع الآلهة البوذيون إن هذا الكتاب مقسم على سبعة كتب أو فصول، ستة كتب منه يحتوي عـلـى مـا كـتـبـه "فالميكي في كتابين بال خندا و أحودهيا خندا و الكتاب الـسـابـع يـحـتـوي عـلـى باقي الأحداث تسود المشاعر المحزنة و البطولية هذا الـعـمـل النثري و وصف فيه راما كملك بوذي تمي، و تفيد نسخه بوذية أخرى لـهـذه الـقـصـة أن راما و سوغريفا اجتمعا تحت ظلال شجرة بوذية، و العمل الـثـاني حـول أسـطـورة راما" باللغه البورمية هو كتاب مها راما الذي يرجع تاريخه الى الجزء الأخير من القرن الثامن عشر، و في هذا العمل أعيدت قصة كـتـاب راما فاستو بعبارات بليغة و أساليب شيقة، و يعتبر راما ياغان الذي وضعه يوبوي في عام ١٧٨٤م قطعة ممتازة من الشعر، و إضافة إلى ذلك يحرر

بالذكر كتاب راماسابي لمؤلفه ماليو عام ١٧٧٥م و كتاب راماتون مايي لمؤلفه سايا هدوي عام ١٩٠٤م

هنالك أنواع كثيرة من العروض التمثيلية عن رامايانا في ميانمار و في القرن الثامن عشر وضعت تمثيلية خاصة للبلاط الملكي بعنوان بيورات عن طريق المرسوم الملكي و لكنها في الوقت الحاضر لم تعد تمثيلية البلاط فحسب بل انتقلت من البلاط الى الجمهور و لا تزال تستمر كتقليد حي تعرض من قبل جماعات و أندية عديدة أنشئت خصيصا لعرض تمثيلية رامايانا

و كذلك توجد آثار أسطورة راما في الفن التشكيلي في ميانمار حيث صنع تمثال راما في المعبد الميشوي المعروف بـ باب هلوبع كيونغ في مدينة باغان كواحد من التجسيدات العشر لإله "فيشنو مع غوتم البوذا كالتجسيد التاسع له و في معبد ناغوداس الذي بناه الملك أناوراتا (١٠٤٤ ـ ١٠٧٧) صورت قصة دلسرتها حاتاكا بواسطه الفخار و من القرن الثامن عشر عندما تم إحياء موضوع رامايانا في ميانمار لقد أثر بشكل كبير في الأدب و الفن و الموسيقى و الرقص البورمي

ماليـــــزيا

نحن نعلم جميعا أن جميع سكان ماليزيا الآن مسلمون وصل الإسلام لأول مرة إلى ماليزيا في القرن الثالث عشر و خلال القرنين من الزمن تمت أسلمة البلاد برمتها و بالرغم من ذلك سكان ماليزيا لم يهجروا راما بل ازداد شغفهم براميانا بشكل تدريجي و لم يهتم الكتاب المسلمون بكتابة موضوعات تتعلق بقصة راما فحسب، بل أصبحت التمثيليات أمثال و ايانغ كولت و وايانغ سيام و رقصات الماليـة مع قصة راما" كأسطورة مرغوبة فيها

و معروفة جدا ما بين الماليزيين، و اعترفت وزارة الثقافة الماليزية رقصات راماينا كبرنامج ثقافي قومي، و يمكننا أن نعتقد أن قصة راما" لقد جرت علمتها في هذه البلاد لدرجة أصبح من الممكن إدخال رامايناالملايية في المنهج المدرسي

لقد واصلت أسطورة راما تحقيق شعبيتها أكثر فأكثر في ماليزيا عن طريق التقاليد الكتابية و الشفهية كليهما و فيما يتعلق بالتقليد الكتابي فهناك خمس و عشرون مخطوطة قديمة لـ رامايانا باللغة الملايية، كلها مكتوبة بالحروف العربية، لكنها لسوء الحظ لم تحقق كلها إلى الآن، و رامايانا باللغة الملايية عامة تدعى بـ حكاية سري رام لكنه ليس هذا عنوانا لعمل معين بل إنه عنوان عام لكل كتب رامايانا باللغة الملايية إن حكاية سري رام" تقدم أسطورة راما الشهيرة التي وصلت إلى ماليزيا من مختلف مناطق الهند بين القرن الثالث عشر و السابع عشر و عمل مهم آخر هو حكاية سري راو" (أي رافانا) لقد أثر رامايانا أثرا كبيرا في التقاليد الأدبية لماليزيا التي تظهر بوضوح في سير المولغ وهي حكاية شعرية ضخمة و لا تزال هذه القصيدة محطوطة فريدة محفوظة لدى الجامعة الملايية

و مع أن كثيرا من المخطوطات التي أكتشفت كانت قد كتبت بعد وصول الإسلام إلى ماليزيا و احتوت على مواد تعود إلى عصر ماقبل الإسلام، لذا شهدت التغييرات لاحما على ضو المبادي و المعتقدات الإسلامية، و ضمن هذه التغييرات أصبحت كثير من الحلقات الجديدة أيضا، و نسوق على ذلك مثالا مقتطعا مما يأتي: إن الله أرسل آدم إلى رافانا، و آدم حمّل رافانا الأرض و المياه و العالم السفلي و مملكة إندرا، و كان الملك داسرتها الحفيد الأكبر لآدم، و كانت له زوجتان إحداهما ماندوداري و الثانية باليادري ، لقد طلب رافانا" من

الملك دلسرتها أن يسلّم إليه روحته الأولى "ماندوداري" التي تدورها اكتست شكلا جماليا و سميت بـ "ماندو داسي" و أصبحت زوجة "رافانا" و في قصة "راما" بالطبعة الملايية إن كل الشخصيات الرئيسية مثل راما و سيتا و رافانا و فاليين و هنومان يرتبط بعضها البعض بالقرابة، تظهر سيتا كابنة رافانا كما تظهر شخصية لكشمان و هنومان كشخصيات قوية و في بعض الأماكن تظهر شخصية هنومان أعلى و أرفع من شخصية "راما" بنفسه

تايلانــــــد.

قد لا يكون من المحل إذا اكتفينا بالقول إن اللغة التايية يوجد بها عدد وجيه من كتب "راماينا" و أنواع كثيرة من الرقص و التمثيليات المبنية على موضوع "راماينا" بل يجب أن نقول إن الثقافة التايلاندية تمس بروح أسطورة "راما" و تاريخ البلاد يزخر بالأمجاد الخالدة لـ "راما"

و يعرف "راماينا" عامة باسم "راما كيرتي" في كلا البلدين تايلاندا و كمبوديا و تكتب كلمة "راما كريتي" بشكل مشابه في لغة كلا البلدين و لكن تحت تأثير اللهجات المحلية إن التايلانديين يسمونه "راماكين" و الكمبوديين يسمونه "راماكير" و قد حوّل راماينا لعالميكي إلى ملحمة تقليدية جميلة لتايلاند، و هذا التقليد يحمل الاسم العام "راماكين" أي عظمة و مجد راما

ينقسم تاريخ تايلاند إلى عدة عهود و سمي كل عهد باسم عاصمة مختلفة و انطلاقا من هذا تعرف إحدى العهود المبكرة بعهد "سوخوتاي" لأن مدينة "سوخوتاي" كانت العاصمة و يمتد هذا العهد من القرن الثالث عشر إلى القرن الرابع عشر، و في هذا العهد أصبحت أسطورة "راما" معروفة جدا في تايلاند و كان راما يعتبر رجلا مثاليا و ملكا مثاليا، لذلك سمي أكثر الملوك شهرة في

هـذا العهد بـ رام كانج هايبح في إحدى كتابات رام كانج هايبح نجد ذكر اسم رام عوها و في الاخرى وصف رلما كتجسيد لإله "نارايانا"

تدعى الفترة التاليه من التاريخ التايلاندي بعهد ايوث هايا لان العاصمة كانت في مدينة ايوث هايا (اي اجودهيا) و بعهد عهد ايوث هايا من ١٣٥١م إلى ١٧٦٧م و في هـذا العهد نجد الكثير من الإشارات إلى اسطورة راما ، كما نجد ذكر رافانا ذا الرؤوس العشر و رلما و لكشمان في قصيدة بعنوان كلوبغ بركات كايبغ نام كتبت في هذا العهد، و اسم الملك لهذا العهد هو اوث هوبغ الملقب بـ رامـا تيـبـتـابـي (١٣٥١ ـ ١٣٦٩)، كـمـا وضع الكتاب رلماكين في هذا العهد و لكنه غير مكتمل و يعطي الحلقة من إذلال سوبرناكا إلى موت "كومبأكرنا" و لـنـا عـهـد ايوث هايا حـمـت تمثيلية بعنوان نانغ يايي مبنية على فكرة راماكين سـعـبـه كبيرة بين الناس

و أداة أخـرى مـعـروفـة لـلـسـلـه في تايلاند هي رقصة خون في اللغه الـتـايـــه كـلـمـة خون تعني القناع و في هذا العرض يستخدم الممثلون أنواعا مـخـتـلـفـه من الاقنعة ولكن في هذه الايام لا يستخدم الممثلون الذين يمثلون أدوار راما و سيتا و "لكسمان" أية أقنعة أستحدثت رقصة خون لدا حكم الـمـلـك رامـا تـيـبـتـابـي الـثـانـي بين (١٤٩١ ـ ١٥٢٩) و فـي هـذا العهد اصبحت رلمـاكين جز ا من الثقافة التايلاندية، ولذلك عندما دمرت عاصمة ايوث هايا من قبل الغزاة البورميين كان التايلانديون قلقين حول إنقاذ نصوص "راماكين

و تعرف الـفـتـرة الـلاحـقـة بـعـهـد رامـاكـوسـيـن او "راتناكوسيندرا" او "بـانـكـوك الاسـم الـقـديـم لبانكوك هو راتناكوسيندرا الذي هو اسم العهد ايـضـا لـقـد بـدأ عـهـد بـانـكوك في عام ١٧٦٧م و لايزال يستمر و تسمى السلالة

الحاكمة التي تحكم تايلاند منذ بداية عهد بانكوك باسم سلالة تشاكري تيمنا بالإله "فيشنو" ، وكل ملك في هذه السلالة يلقب بـ راما الأول و الثاني و هكذا دواليك، و انهم يعرفون بهذه الألقاب اكثر من اسمائهم الشخصية لذكر على سبيل المثال أن اسم الملك الحالي لتايلاند هو بهومي بالا ادوليا تيج ولكنه يعرف باسم راما الحادي عشر

إن مساهمة السلالة الحاكمة الحالية في تاليف راماكين وتعميم الادوار و القيم التي تدعو إليها اسطورة راما كبيرة جدا، لقد قام الملك بوذا يوت فا تشولا لوك الملقب بـ راما الأول (١٧٨٢ - ١٨٠٩) بتاليف راماكين شعرا و تعتبر تاليفه هذا لكثر التاليف اكتمالا بين كافة التاليف الموجودة في اللغه التايية حول اسطورة راما و يحتوي على قصة راما باكملها كما قام الملك بوذا لوتشيلا نابهالي الملقب بـ راما الثاني (١٨٠٩ - ١٨٢٤) بتاليف موجز راماكين نثرا يستخدم نص هذا الموجز في التمثيليات الشعبية لمثال خون و ناغ يابي وكان الملك فاجيرا بوذا الملقب بـ راما السادس (١٩١٠ - ١٩٢٥) عالما بارعا يعرف عدة لغات منها اللغة السنسكريتية و البالية و الإنجليزية و الفرنسية كما كان على المام بسط باللغة البنغالية أيضا إنه ألّف كتاب "راماكين" الذي يتسم بالاسلوب الرفيع و القيمة الادبية و خير دليل على ثقافته عالية، و جاء تاليفه هذا على عكس كتب راماكين السابقة متطابقا مع "رامايانا لفالميكي إلى حد كبير، كما وضع بحثا ممتازا حول كتب رامايانا تناول فيه النسخ العديدة لـ رامايانا في اللغات المختلفة منها اللغة السنسكريتية و البنغالية و التاميلية وغيرها كما ناقش فيه الكتب حول قصة "فيشنو و هنومان

لقد عرف الشعب التايلاندي نفسه باسطورة راما لعدة قرون إلى درجة

لم يمكن معرفة أن راماينا وضع أولا في الهند و باللغة السنسكريتية و اعتقدوا أن رامايانا وضع أصلا في تايلاند و "راماكين التايلاندي" يمثل قصة أصلية لـ راما كما اعتقدوا أن كافة الحوادث المذكورة في راماكين حدثت على أرض تايلاند و في الواقع أن الملك راما السادس قدم لأول مرة فالميكي من خلال بحثه المرموق إلى شعبه

سميت العديد من الأماكن في تايلاند بالأسما المستخدمة في رامايانا و نسوق على ذلك أمثلة ممتعة. لقد سبق لنا أن ذكرنا مدينة أيوت هايا (أي أجودهيا)، كما أن هناك بلدة اسمها لوب بوري (أي لافابوري) في تايلاند. يعتقد أن راما" بعد عودته إلى أجودهيا بعد الانتصار على رافانا" أراد مكافأة هنومان على خدماته الجليلة، و لهذا الغرض أطلق سهما و قرر بأن المكان الذي يسقط فيه السهم ستكون عاصمة هنومان فسقط السهم على بلدة "لوب بوري و نتيجة سقوط السهم أصبحت التربة بيضا و لازالت بهذا اللون لحد اليوم كما أن هناك هضبة مسطحة الرأس تدعى تشاليابات يقال إن هنومان لما خرج إلى هذه الهضبة بحثا عن العشب الطبي المطلوب لإنقاذ حياة "لكسمان فنزل على رأس هذه الهضبة و اكتسح الغابات المجاورة بذيله الطويل بحثا عن العشب المنشود فأصبح رأس الهضبة مسطحا بمصل مثل جثة هنومان وكما أن هناك ثغرة كبيرة بجانب الهضبة تدعى "ساريبوري" و بهذا الصدد تعهد الحكايات الشعبية أن رافانا بعد اختطاف "سيتا كان يعود عربته بسرعة فائقة و لما وصل إلى هذا المكان اصطدم محور العربة مع الهضبة و أحدث حفرة كبيرة مازالت بادية للعيون و يدعي سكان تشون بوري بأن فالين ملك القرود خاض معركة مع ثوراي أو دونديبي أي الجاموس العملاق و نتيجة لهذه المعركة أصبحت أراضي المناطق المجاورة حمرا اللون و لازالت على هذا اللون ليومنا هذا

و هناك عدد كبير من مثل هذه الحكايات التي نالت شعبية كبيرة بين الأوساط التايلاندية، و لعلّ المثقفين التايلانديين على اسم فالميكي و كون راماينا هندي الأصل بعد أن سرّ الملك راما السادس بحثه المرموق عن "راماينا" ولكن السواد الأعظم من الشعب التايلاندي لايزال غير مستعد للتنازل عن حقه على أسطورة راما، إن أثر راماينا لا يقتصر على الفنون الأدبية و العرضية فحسب بل يمتد إلى الفنون التشكيلية أيضا مثل الرسم و النحت و في عدد من المعابد توجد التماثيل و اللوحات المبنية على فكرة راماينا

لقد جرى تكييف و تحويل لقصة راماينا في تايلاند بطرق عديدة و بما أن هذه التغييرات كثيرة لا يمكن مناقشتها بإسهاب في هذا المجال إن الفرق الأساسي و الجدير بالذكر بين "راماكين التايلاندي و راماينا السنسكريتيه لفالميكي هو التغيير في أسماء الأعلام أي أسماء الشخصيات و الأمكنة ولو بقيت أسماء راما و هنومان في صيغها الأصلية عرفت عدة شخصيات بأسماء جديدة مثلا أهاليا بـ "كولاكانا و أنجانا بـ سواها و مانثارا بـ كوكي و كوسا بـ مانكوت و فالميكي بـ فاجراغا و هلم جرا كما كيفت بعض الأسماء السنسكريتية في التلفظ التايلي مثل كلمة ساتورد لـ شاتر غانا و كوسيران لـ كوسيرا" و بيبهيك لـ بيبهيسانا و مانو "مانتوداري"، و ذكر اسم رافانا" دائما كـ توتساكان و هي على الأرجح الصيغة التايية لـ "داسا كانثا"، و الانحراف الآخر الذي يلفت انتباهنا هو أننا في الهند نعلم أن هنومان" كان عزبا برهميا ولكن في إحدى كتب راماكين يوجد ذكر زواج هنومان" بشكل تفصيلي، و كانت له علاقات مع عدد من النساء من العالم السماوي و الحيي و البشري و كان له أولاد أيضا

و من الجدير بالذكر أن راماكين التايلاندي مهما كانت مصادره و مراجعه و مهما بلغت الانحرافات في سرد الوقائع يؤيد معظم المثل العليا

التي دعا إليها فالميكي ومنها ما يخص بالملكية وقداسة العلاقات العائلية وإخلاص الزوجة وتفانيها لزوجها ونظرية التناسخ والعمل وانتصار الحق على الباطل وغيرها من القيم الخالدة التي مشتركة بين رامايانا لفالميكي وراماكين للملك راما الأول.

لاوس

لقد حققت أسطورة راما شعبية كبيرة في لاوس البلد الذي يقع في جنوب شرقي آسيا قرب تايلاند أكتشفت فيها نسختان من كتاب رامايانا في اللغة اللاويه إحداهما قصيرة والثانية طويلة، وكلتاهما مكتوبتان في نثر منمق تسمى الأولى منهما بـ عماي دوراني والثانية بـ فرا لك فرا لام او لام سادوك" (أي راما ـ جاتاكا)، لقد تم تحقيق وترجمة هذين النصين في الهند من قبل البروفيسور ساحيدلناند سهاي إن كلمة فرا" في اللغة التايية واللاوية معنى "السيد وكلمة لك تعني لكسمان و لام تعني رام لذا يمكن ترجمة اسم النسخة الثانية بالسيد لكشمان والسيد راما وتقول النسخة الثانية أن راما ليس تجسيدا لإله فيشنو بل البوذا، غير أن مثل هذا الكلام لا يمنع البوذيين اللاويين من إبدا احترامهم لـ راما

تشتمل النسخ اللاويه لكتاب رامايانا" على انحرافات عديدة مثيرة للاهتمام، لكننى بذكر الثلاث منها على سبيل المثال، الأولى أن رافانا" هو ابن شقيق الملك داسرتها"، والثانية عندما تناول راما خلال هيامه في الغابة بحثا عن سيتا ثمر شجرة معينة فتحوّل إلى قرد، ثم التقى بامرأة اسمها منمسي التي كانت قد تحولت إلى قردة (أنثى) نتيجة تناولها ثمر نفس الشجرة فتزوج راما معها وولد هنومان" من بطنها، والثالثة أن راما قتل فالين وتزوج من أرملته وما من شك أن قصة راما أدت إلى ظهور أسلوب خاص في الرسم

و البحث يمكن ملاحظته في لوحات المعابد و العصور المنتشرة في أنحا البلاد.

كمبوديــــــا

يرجع تاريخ العلاقات الثقافية بين الهند و كمبوديا إلى القرن الثاني الميلادي و تعرف كمبوديا راماينا و مهابهارتا و براناز منذ قديم الزمان مجد ذكر راماينا في عبارة منقوشه تعود للملك بهافافارمان الذي عاش في القرن السادس الميلادي

يتجلى لنا من هذه العبارة المنسوبة أن راماينا الأصلي باللغه السنسكريتية كان معروفا في كمبوديا و كان هناك تقليد لتلاوته في المناسبات الدينية في القرن السادس الميلادي

نشئت مملكة كامبوجا إثر ثورة قامت ضد مملكة كامبا التي كانت تمتد إلى بعض أجزاء كمبوديا و فيتنام و لاوس الحالية و كثير من أحداث قصة راما مكتوبة على جدران معابد انعكور عاصمة كامبوجا لذلك تسمى راماينا الكمبودي بـ راما كيرتي أي معناه مجد راما و هو منطق في لغة Khmer راماكر" أو راماكير و يعتقد أن عددا لا بأس به من راماكيرات ألفت في كمبوديا و أشهرها ألف في القرن السادس عشر و المخطوطة التي اعتمد عليها في تحقيق النص و نشره يرجع تاريخ كتابتها إلى القرن السابع عشر، كما تمت ترجمة النص إلى اللغه الفرنسيه من قبل المحقق و إضافة إلى ذلك اكتشفت مزيد من النسخ التي تزخر بالانحرافات و التغييرات في تتابع الأحداث و مع ذلك نسخ Khmer لأسطورة راما تعتمد إلى حد كبير على راماينا لفالميكي.

يعترض أن المؤلف المجهول لنسخة "راماكير" الشهير كان بوذيا، لأنه مع الدراسة بالتقليد الهندي يعترف بأن "راما" تجسيد لإله "فيشنو" و في الوقت نفسه يقدم "راما" كبوذي و يستخدم المصطلحات البوذية المعقدة في الأماكن المختلفة.

يتألف الكتاب "راماكير" من ثلاثة أجزاء، الجزء الأول يسلط الضوء على ولادة "راما" و الشخصيات المختلفة التي توجد في "رامايانا" و انتصار "راما" على الأعداء المختلفين و الجزء الثاني يتناول أحداث نفي "راما" و اختطاف "سيتا" و معركة لانكا و هزيمة "رافانا" و عودة راما إلى أجودهيا، بينما الجزء الثالث يروي قصة إبعاد "سيتا" و ولادة "لافا" و "كوشا" المعروفين بـ "راما لاكشا" و "حوما لاكشا" في اللغة الخميرية.

مع أن "راماكير" مصدره "رامايانا" لفالميكي، إلا أنه تم تكييف الفكرة الرئيسية مع التقاليد الثقافية المحلية مما أدى إلى دخول عدد من الانحرافات و المبتدعات فيه، و الشخصيات الرئيسية في راماكير هي راما و رافانا و هانوماري و سيتا و سوغريفا و هنومان و يلاحظ أنه كلما ترد أسماء راما و لكشمان و أسماء الآلهة في "راماكير" تبدأ بكلمة "براه" و هي كلمة مشتركة بين اللغات التايية و اللاوية و الخميرية ترادفها في اللغة السنسكريتية كلمة "شري" التي معناها "السيد" و الكلمة تنطق "فا" في كل من اللغة التايية و اللاوية بينما تنطق "برياه" في اللغة الخميرية، و يرى العلماء أن كلمة "براه" مشتقة من كلمة "فارا" السنسكريتية، و كذلك تبدأ أسماء كل من "سيتا" و "هانوماري" و النساء النبيلات الأخريات بلقب "نيغ" ترادفها كلمة "ديفي" في اللغة السنسكريتية التي معناها "السيدة"

يمكننا الآن مناقشة الميراث البارزة و المبتدعات التي تزخر بها قصة رماكير"، و من بينها أن الإله فيشنو نزل في صورة راما و حاجب الإله لكين غاميسو وُلد في شكل "رافانا و كانت "سيتا في ولادتها السابعة زوجة الإله إندرا وتعرضت لإهانة على يد رافانا فأرادت أن تنتقم منه و لتحقيق هذا الغرض وُلدت في صورة ابنة له ولكن رافانا" عملا بنصيحة أخيه المنجم فيبهيسانا وضعها في صندوق و أغلقه ثم حمله إلى مكان بعيد و دفنه في الأرض هناك، ثم اكتشفها الملك "جاناكا و أخرجها من الأرض لتجبت زوجه ناسك "سوغريما و فالين من نطفة أنيتيا و إندرا على وجه الترتيب فلما علم الناسك عن علاقة زوجته السرية مع أنيتيا و إندرا لعن الولدين فصارا قردين و وُلد هنومان من بطن سواها أخت سوغريما و فالين و اسم ابنه مارلينا و كان هنومان جميلا أبيض اللون

أسفر التأثير البوذي في راماكير عن إضافة جديدة في القصة و هي أن راما التقى أيام نفيه بالنساك البوذيين و الملك البوذي للغابة الذي مد إليه يد الصداقة فاستجاب له "راما بكل سرور و جعله أخا له

و على كل إن الكتاب راماكير يتبع رامايانا" لفالميكي إلى حد كبير في سرد أحداث صداقة راما مع رؤساء القرود و بعثة هنومان" إلى لانكا و بنا الجسر، و قيام راما و أكسمان بغزو لانكا، و انضمام فيبهيسانا إلى معسكر "راما ، و مقاتلة إندراجيت و كومبا كران، و مقتل رافانا"

بعد مقتل "رافانا" و المحاكمة النارية لـ "سيتا رجع راما إلى أجودهيا و تم تتويجه كملك، انه أهدى جز ا من مملكته إلى هنومان" مكافأة على خدماته الجليلة و هكذا أصبح هنومان" حاكما لجز من المملكة

و انشغل بإدارته، و لكنه لم يتخلص من عاداته القريبة، فكان يخرج القمل من منبه و يقتلها و هذا جعله موضع سخرية أمام رعيته، فاضطر إلى إعادة المملكة إلى "راما"، و على كل، بين له راما مدينة أخرى فيما بعد يوجد هذا الحادث بشيء من الاختلاف في الكتاب راماكين التايلاندي أيضا

في بعض النسخ المحلية الهندية لأسطورة راما قصة مفادها أن سيتا" سنا على رغبة امرأة رسمت صورة رافانا ، و لما اطلع عليها راما بدأ يشك في إخلاص سيتا و وفائها و أمر "لكشمان أن يتركها في غابة لقد أضفى مؤلف الكتاب راماكير على هذه القصة ثوبا جديدا، و يقول عندما خرج راما مع سيتا إلى الغابة في جولة استمتاعية، تسلل امرأة قريبة لـ "رافانا" متنكرة إلى الحاشية المساعدة لـ سيتا و طلبت منها رسم صورة رافانا على لوح حسبي فاستجابت سيتا لرغبتها و فيما بعد بذلت جهودا كبيرة لمحو الصورة و لكنها منيت بالفشل بسبب القوة السحريه التي كان يمتلكها "رافانا فاضطرت إلى إخفاء الصورة تحت فراشها و اطلع عليها راما" و شك في إخلاصها و فسلب سيتا في إثبات براءتها، فغضب راما و أمر "لكشمان" بأن يأخذها إلى الغابة و يقتلها و يعود إليه بقلبها، و لكن "لكشمان" كان واثقا ببراءتها و عفتها، لذا تردد في قتلها وقتا طويلا من الزمن، و لكنا عندما الحت و أصرت فضرب عنقها بالسيف و لكن السيف بدلا من أن يقتلها، تحول إلى اكليل من الزهور حول عنقها، و لما رأى إندرا" هذه المعجزة، ظهر في شكل ظبي فقتله "لكشمان" و جا بقلبه الأسود إلى راما و لما رأى اللون الأسود ليتقن بأن سيتا كانت قد اقترفت الذنب فعلا و ارتاح بأنه كان على حق في معاقبته لـ سيتا"، و في غضون ذلك ظهر إندرا ثانية في شكل جاموس و قادها إلى صومعة فيجابريت و ما هو إلا فالميكي غير أننا لا نعرف لماذا

سمي فالميكي بـ "فيجاريت" في الكتاب "راماكير" و في هذه الصومعة انجبت "سيتا" ولدا كان يشبه راما في ملامحه البدنية فسماه الناسك راما لاكسا مضيفا اسم "لكشمان" إلى إسم راما ، و ما بقي من القصة يتوافق مع الكتاب أترا خاندا" لفالميكي ببعض التغييرات يستهان بها تماما نجد في الكتاب اترلخاندا لفالميكي أن سيتا ولدت توأمين سمّاهما الناسك كوسا و لافا ، بينما نجد الحادثة نفسها في الكتاب "راماكير" أن سيتا خرجت مع ولدها ذات يوم إلى النهر لتستحم فيه و كان الناسك آنذاك مستغرقا في مراقبة عميقة و لم يلاحظ ذهاب الطفل مع أمه إلى النهر فلما فرغ من المراقبة و لم يجد الطفل فخلق طفلا آخر بفضل قوته اليوغانية (أي دعائية) و سمّاه جوبا لاكسا" و يوجد ذكر هذه الحادثة في بعض النسخ الإقليمية لـ راماينا أيضا و أما الحوادث الأخرى أمثال تضحيه اسفاميدا التي قدمها راما و قتال جيشه مع كوسا و لافا و دخول سيتا في بطن الأرض فورد ذكرها بعد فالميكي

نشأت و تطورت أنواع كثيرة من الموسيقى و الرقص المبنيه على فكرة راماينا في كمبوديا، كما زخرفت جدران المعابد و الأديرة و العصور من الرسوم المستوحاة من أسطورة راما، و في الواقع أن أسلوبا فريدا من الفن المرئي خرج إلى حيز الوجود بفضل شعبية راماينا في البلاد.

و إن كان قد ذكر في الكتاب راماكير" أن راما تجسيد لإله فشنو و بوذى، و أشيد بمجده كعبقري و ملك مثالي و أبرزت مزاياه البشريه و سماته الإنسانية، و في نفس الوقت لم يتردد الشاعر في تسليط الضو على الهفوات البشرية في شخصية راما و بالأخص عجلته التي تلائم فردا من أفراد طبقه "تشاتري ، و مع ذلك فقد صورت شخصية كل من سيتا و راما بأنها

نموذجية و مثالية و الميزة الفريدة التي يتسم بها الكتاب "راماكير" هي أن التقاليد الثقافية البرهمانية و البوذية كلتيهما ذكرت فيه دون أدنى تعارض او تناقض

إندونيسيــــا

نتناول الآن وضع أسطورة "راما" في إندونيسيا، بلاد مجموعة من الجزر، لدينا سواهد أثريه و براهين منقوشية تكمي دلالة على وصول اللغة السنسكريتية و المخطوطات الهندية إلى إندونيسيا في القرن الواحد الميلادي إبان حكم الملك لحي كاكو ، و يزيد هذه الشواهد قوة وجود الكلمات السنسكريتية بكثرة في اللغة الكاويه المستخدمة في إندونيسيا في عصورها الوسطى و في لغتها الحديثة بهاشا إندونيسيا

كان الشعب الإندونيسي في قديم الزمان على الديانة الهندية و هي البرهمانية و البوذيه ولكن في القرن الثالث عشر الميلادي لقد اعتنق الشعب الإندونيسي برمته الدين الإسلامي ماعدا سكان جزيرة بالي و على الرغم من هذا التغيير العقائدي لايزال راماينا يشكل جزءا لا يتجزأ من حياتهم الثقافية و الأدبية

لا نستطيع القول بشيء من الثقة بأنه متى دخلت أسطورة راما إندونيسيا ولكننا على يقين أن التماثيل المبنية على فكرة "راماينا" التي توجد في معبد "سيفا" بمدينة برامبانان في جزيرة "جاوا" يرجع تاريخها إلى القرنين السابع و الثامن و يبدو أن اسم المدينة "برامبانان" خرج من كلمة برام فانان التي تعرف في الوقت الحاضر باسم "يوغيا كارتا" كانت عاصمة جاوا في تلك الزمان، و تخبرنا تماثيل معبد سيفا أن البوذية و السايفتية

تعايشت معا بانسجام تام في تلك المنطقة، و كل معبد في إندونيسيا يعرف باسم عام تشاندي ، و يعرف معبد سيفا في مدينة برامباناس" باسم "تشاندي لارا جونغرانغ" و ثمة حكاية شعبية شيقة وراء هذه التسمية، يقال كانت لملك "راتوبياك" بنت اسمها لارا جونغرانغ و بناء على أمر من هذه الأميرة قام عفريت اسمه باندونغ بوشدو ببناء هذا المعبد و نحت ألف تمثال في ليلة واحدة فقط.

أسطورة راما كما صورت في تماثيل هذا المعبد توافق تقريبا بالتقليد الهندي، تنقسم هذه التماثيل في اثنين و أربعين مجموعة في المجموعة الأولى أن الإله فيشنو مستلق على سريره من الأفعى و يعبده الملائكة و هو مجسد في شكل أولاد الملكات الثلاث للملك داسرتها و تحتوي تماثيل هذه المجموعة على مغامرة راما و لكشمان مع فيسوامترا لهزم العماريت و قيام راما بكسر قوس سيفا في بلاط الملك جاناكا و زواج راما مع سيتا و مجابهته مع بارسورام، و كذلك الاستعدادات لتتويج راما، و نفي راما بنا على رغبة الملكة "كيكئي"، و وفاة الملك دسرتها الحزين و قيام الأمير بهارتا بتنصيب نعال راما الخشبية، و قيام لكشمان بقطع أنف و أذن "سورباناخا و قيام رافانا باختطاف سيتا، و القتال بين رافانا و جاتايو، و صداقة راما مع سوغريفا و هنومان، و بعثة أنغدا إلى لانكا، و أما الحوادث الأخرى ابتدا من حرب لانكا حتى عودة راما إلى أجودهيا و تتويجه كملك فهي منحوتة في معبد براهما المجاور، و القصص الموجودة في الكتاب لترلخانيا كلها تقريبا بما فيها نفي سيتا"، و ولادة و تربية لافا و كوسا و قيام "لافا و كوسا" بتلاوة رامايانا على متن الجواد، و تضحية "راما"، و وفاة "راما كفيشنو و وصول لافا" إلى العرش و وزارة كوسا" إلى ما ذلك منحوتة في هذا المعبد و في هذه الفترة

التي ظهرت فيها هذه التماثيل كانت سلالة سانجاي" السايفتية تحكم على شمال "جاوا" بينما سلالة "شيلندرا" البوذية كانت تحكم على الشطر الجنوبي للجزيرة، ولذا نرى في هذه التماثيل المبنية على فكرة رامايانا امتزاجا بين الأساليب السايفتية و البوذية

و توجد حوادث كثيرة من رامايانا منحوتة في معبد سيما بمدينة باناتران في جاوا الشرقية و الذي يعود تاريخه إلى القرن الرابع عشر و في ترتيب تماثيل رامايانا" اختلاف بسيط بين هاتين المدينتين، فإن القصة في معبد باناتران ناقصة لأنها تبدأ من وصول هنومان إلى لنكا و تنتهي بمقتل كومباكرن توجد تماثيل راماينا" في عدة أماكن في "جاوا و سيليبير و بالي و يستمر هذا التقليد ليومنا هذا

فضلا عن هذه التماثيل، وردت أسطورة راما في الأعمال المنقوشة و الآثار الأدبية، و لـ رامايـنا مكان مرموق في نقوش الملك سانجاي من القرن الثامن، و يذكر لوح نحاسي يرجع تاريخه إلى عام ٩٠٨م الموجود في أمستردام بهولاندا أن شخصا اسمه سي جالوك تلا رامايانا" بمناسبة يوم التأسيس من خلال العزف و نوع من التمثيلية

كما ذكر من قبل أن اللغة السنسكريتية و آدابها كانت تدرس في إندونيسيا على نطاق واسع منذ زمن موغل في القدم، و نتيجة لذلك نشأت اللغة الكاوية من مزيج اللغة السنسكريتية و لغة جاوا القديمة، و عرف الأدب الذي تطور في هذه اللغة من فكرة رامايانا" و مهابهارتا" و القصائد الهندية الأخرى باسم كاكاوين ، و يبلغ عدد الكاكاوينات" التي كتبت حول موضوع و فكرة "رامايانا أكثر من مئة، و أجدرها ذكرا هاري ساريا كاكاوين المبنية على رامايانا

و "سوماتا سانتاكا و "راما بورانا و راما ويجاي و "فيراتانترا وغيرها، وتم اكتشاف النسختين من راماينا باللغة السنسكريتية بعنوان كاريترا - راماينا" في جزيرة بالي، قام الشاعر جاماكي بتأليف الأولى منها شعرا بينما تقع الثانية في النثر وعلى الأرجح ألفت لغرض تعليم قواعد اللغة السنسكريتية وإضافة إلى ذلك توجد عدة نسخ لـ راماينا في اللغة المحلية الدارجة في جزيرة بالي، ونشرت ثلاثة منها باللغة المحلية مؤخرا

يعتبر راماينا باللغة الجاوية القديمة أكثر التآليف شعبية وأكبرها حجما، تم تأليفه في الجزء الأخير من القرن الحادي عشر ونشر مؤخرا بالحروف الرومانية مع الترجمة الإنجليزية من نيو دلهي.

تشكل تلاوة راماينا في جزيرة بالي جزءا لكافة التقاليد المحلية وعبادة جميع الآلهة، ويعرض الرقص التمثيلي المبني على فكرة راماينا بمناسبة تشييع جثمان الباليين الهندوسيين

يعزى تأليف الكتاب راماينا - كاكاوين" إلى شاعر اسمه يوغيشوارا ولكن بعض العلماء يرى أنه لم يؤلف كاكاوين بأكمله بل ألف جزءا منه يشتمل هذا الكتاب على ٢٦ نشيدا و ٢٧٧١ بيتا وجودة التأليف ليست بمستوى واحد في كل الكتاب لذلك يفترض أن يوغيشوارا ليس اسم شاعر معين بل إنه لقب لجميع الكتاب والشعراء الذين أسهموا في تأليف راماينا

لا يعتمد الكتاب راماينا - كاكاوين بشكل مباشر على راماينا لفالميكي، وأن المصدر الرئيسي لـ كاكاوين هو بهاتيكاويا ، غير أن ذكر فالميكي ورد في "كاكاوين كمؤلف لـ "راماينا الأصلي فإن الأناشيد من الأول إلى الخامس تتوافق تماما مع "بهاتيكاويا ولكن مضمون النشيد السادس

يختلف مع بهاتيكاويا و بينما الأناشيد من السابع إلى التاسع تتوافق تماما بهاتيكاويا ولكن يوجد بعض الاختلاف في الأناشيد من العاشر إلى السادس عشر ولكن القصة العروبية في الأناشيد من السابع عشر إلى السادس و العشرين تختلف تماما

يحتوي الكتاب رامايانا ـ كاكاوين على أنواع كثيرة من البحور و التشبيهات و الاستعارات السنسكريتية، يبدو أن "كاكاوين" ألف لغرض تعليم بحور الشعر السنسكريتية، بينا ألف الكتاب بهاتيكاويا من أجل تعليم قواعد اللغة السنسكريتية

و ينتهي الكتاب "رامايانا ـ كاكاوين بالانتصار على لانكا، و تتويج راما" بعد عودته إلى أجودهيا و لا يشمل محتويات الكتاب "أتراخاندا و لكنه يجب أن لا يعيب عن البال، أن الحوادث التي ذكرها فالميكي في كتابه أتراخاندا كانت معروفة في إندونيسيا و يعرف هذا الجزء من أسطورة راما كعمل نثري مستعمل و ذكرت في نهاية هذا الكتاب الفوائد و المميزات التي تتحقق من قراءة رامايانا في السطور الآتية

"من يقرأ رامايانا" هذا يجد الطريق الصحيح و يذهب إلى الجنة كما ينال السعادة من الأولاد و الأحفاد و يعيش على صداقة تامة مع الآلهة و فضلا عن ذلك من يقترف الذنوب و يقدر له أن ينال عقابها و يقرأ حتى بيت واحد منه يغفر له ذنوبه كلها

إن شخصيات الكتاب رامايانا الإندونيسي هي نفس الشخصيات التي توجد في رامايانا الهندي مع فرق بسيط و هو أن كومباكرن تم تمجيده كجندي مخلص و تحظى تريجاتا" باحترام يضاهي احترام سيتا" نفسها

تقريبا، بل على الاغلب تال "تريجاتا لحرلما كبيرا في جاوا لان لولاها لماتت سيتا في أسرها

لقد تناولنا لحد الآن لثر راماينا في فن النحت و الادب الإندونيسيين و فضلا عن ذلك لن لثره في الثقافة الحية مثل الموسيقى و الرقص و المسرحية واضح حدا، و تعرض التمثيلات المبنة على فكرة رلماينا منذ قديم الزمان عن طريق الدمى المتحركة المصنوعة من الجلد كما أن هناك عددا كبيرا من المسرحيات و التمثيليات المستوحاة من راماينا اسهرها بيانغ كولين و سيانغ غوليك و سيانغ تشوك تعرض مثل هذه المسرحيات كل عشية بعد العبادة في معبد "سيفا بمدينة براميانان ، و مع ان جميع الممثلين و الموسيقار مسلمون لا يقل اهتمامهم و إخلاصهم في عرض هده المسرحيات من إخلاص و اهتمام الممثلين الهنود، تشتهر في حزيرة بالي أنواع مختلفة من الرقص و الموسيقى و المسرحية المبنية على فكرة راماينا"، كلما سحيي لية مناسبة يجتمع آلاف الناس لمشاهدة رقصات و مسرحيات مسوحاة من راماينا

و في الختام نذكر أن رلما و شخصيته العظيمه و قصته يعد جز ا لايتحرا الثقافة و حضارة و تاريخ إندونيسيا

البيلوغرافيا:

١ بالبير جانغبلس كهور L'histoire de Rama en Tibetain d'apres des manuscripts de Touen de Touen-houang edition du texte et traducion annotees. Paris Ardien maisonneuve, 1963

٢ بـوك مـان تـيو بورا هيليبي The Poetics of Ramakian Illionois: Northern Illionois. University 1984.

٣ إكرم اتفاديالي، حكايات سري راما، جاكرتا، جامعة بيتربيت إندونيسيا ١٩٨

٤ بو ساڤيروس (ed.) Ramakerti (xvie-xviie siecles) texte Khmer publie par Saveros
Pou. Paris. Ecole Francaise d'Extreme-Orient, 1979

٥ بو ساڤيروس (ترجمة) Ramakerti (xvie-xviie siecles) Paris: Ecole Francaise
d'Extreme-Orient, 1977 (French Translation).

٦ راما الأول (ملك تايلند) Bot Lakhon Ramakien. Bangkok Guru Sabha (Budha Yodfa
Press 1964 II Vol

٧ راما الثاني (ملك تايلاند) Bot Lakhon Ramakien. Bangkok. (Buddha Loetla Naphalai
Krom Silpakon 1969 2 Vol

٨ راما السادس (فاجيرا بودا ملك تايلاند) راماكين، بانكوك ١٩١٣

٩ راما السادس (فاجيرا بودا ملك تايلاند) Bokoet Haeng Ramakien Bangkok, 1913

١٠ سهاي ساتجيدا ناند (ed.) The Phra Lak Phra Lam, or The Phra Lam Sadok a Lao
version of the story of Ram. نيو دلهي المجلس الهندي للعلاقات الثقافية ١٩٧٣

١١ سهاي ساتجيدا ناند The Rama Jataka in Laos. a study in the phra Lak Phra Lam,
Delhi B.R Pub. Corp. 1996 Vol

١٢ سهاي ساتجيدا ناند (ed. & tr.) Ramayana in Laos. a study in the Gvay Dvorabhi
Delhi B R. Pub Corp. 1976.

١٣ ساتتو سو سوتيوتو (ed. & tr.) Ramayana Kakawin New Delhi, International
Academy of Indian Culture, 1980, 3 Vol

١٤ شاستري ساتيا فرات Sriramakirti mahakavyam. a Sanskrit mahakavya of the Thai
Ramakien. bangkok: Moolamall Sachdeva Foundation 1990

١٥ شاستري ساتيا فرات دراسات في الثقافة السنسكريتية و الهندية في تايلاند، دلهي ١٩٨٢

١٦. ستوترهيم، ويليام. بحث Rama-legend and Rama-reliefs in Indonesia ترجمته من قبل السيد سي دي بالبوال و ار بي جين. نيو دلهي: مركز إندرا غاندي الدولي للفنون ١٩٨٩.

١٧. فالميكي، راماينا لفالميكي. الملحمة القومية للهند. تحقيق: جي إتش بهات. بروما: Oriental Institute ١٩٦٠-١٩٧٥. المجلد السابع.

١٨. فالميكي، راماينا لفالميكي with the commentaries Tilaka, Ramayanasiromani and Bhusana, edited by Shrinivas Katti Mudholakara. Bombay: Gujrati Ptg. Press 1912-1920. 7 Vol. Repr. With introduction in Sanskrit and verse index by Satkari Mukhopadhyaya. Delhi: Parimal Publications 1983. 8 vol.

تعريب: د. حبيب الله خان

❖ ❖

تأثير الفلسفة و الفكر الهنديين في شعر اقبال

بقلم سيد مظفر حسين برني

حاكم لولاية هريانا سابقاً

كان الشاعر محمد اقبال من الشخصيات الفذة الفريدة للأدب الهندي، ولم يكن شاعراً فحلا فحسب، ولكنه من عظماء رجال الفكر كذلك. قام محمد اقبال - بوصفه احدا من رجال الفكر - بدراسة الفلاسفة الغربيين بتعمق كما شفى غليله العلمي بالإستفادة من المسلمين من رجال الفكر و إلى جانب ذلك فقد تأثر تأثرا بالغا بالنساك و اهل الفكر من الهندوس. يقول في مقالته التي كتبها بعنوان نظرية عبد الكريم الجيلي في التوحيد المطلق

إنما نعترف بتفوق الهندوسية في الشعور الفلسفي العميق، إن تاريخ العرب لما بعد ظهور الإسلام، سلسلة طويلة من الإنتصارات العسكرية الباهرة مما حملهم على انتهاج نهج من العيش لم يكن فيه لتحقيق الإنتصارات الصامتة سببا في مجالات واسعة من الفلسفة و العلوم، إلا سهم ضئيل. فلم يتمكنوا من و ما كان بإمكانهم انجاب شخصيات مثل كابيل (Kapil) (٢) و شنكرا تشاريه (٣)

عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي (المولود في ٧٦٨ من الهجرة/ ٦٦ - ١٣٦٥م، و المتوفى بين ٨١١ و ٨٣ من الهجرة/ ٨ ١٤ - ١٤١٧م) كان من أهل بغداد من أصلاب الشيخ عبد القادر الجيلاني من كريمته فلذا يقال له الجيلي. كان قد حصل على النسبة الروحية في الطريقة القادرية عن الشيخ شرف الدين

اسماعيل بن ابراهيم الجبرتي انه كذلك قام برحلة للهند كما اقام زمنا مع شيخه في اليمن و توجد له عشرون مؤلفة (بروكلمان GAL ٢/٥/٢) و ضاع منها عدد مثله

إن معتقدات الجيلي مبنيه على تعاليم الشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي و لما ما يراه بينهما من تناقض فيرجع سببه - كما ذكر الجيلي إلى اختلاف في وجهه النظر او التاويل و الفكرة الاساسيه لهذه العقيدة هي عقيدة وحدة الوجود اى كل موجود مظهر لذاته الواجب الوجود التي لا تحصى ممكناتها و إن لا تنفصل ابدا عن هويتها الغير المنقسمه و بمقتضى النظير إن الجيلي شبه العالم بالثلج و شبه الله من حيث حقيقة مستترة بالما الذي يتكون منه هذا الثلج و سيعود الثلج ما ءة اخرى و من ثم فإن في نظر الصوفي الذي قلبه متفتح للتجلي النوري لواجب الوجود سيكشف هذا الامر فعلا

و في هذه الإستعارة لا توجد فكره الحلول او الواحد هو الكل و لا يكون الله العالم مثلما يتحول الما ثلجا إنه وراء الإدراك في مظهريه فلا توجد استعارة تحل هذا التناقض بشكل متناسق و للجيلي تاليف بعنوان الإنسان الكامل خلف على الصوفيه من المغرب العربي الى جزر جاوا شرقا تاثيرا عميقا و يمكن القول بانه صورة مرتبة منسقة لميتافيزيقيات ابن العربي و ميتافيزيقيات الصوفية كلها بوجه عام و قد بحث الجيلي في ماليمه هذا مظهرية هويته تعالى و درجات الوجدان الصوفي و تجليه في اشكال الديانات الشتى، و القوى الروحية و النفسية في الإنسان و قضيه المعاد

كان إقبال دارسا للفلسفة و كان قد درس الفلسفه الهندية دراسة عميقة وخاصة اثنا عمله في إعداد لطروحته لشهادة الدكتوراة بعنوان تطور الميتافيزيقيات في إيران تيسر له الخوض في حقائق الفلسفه الهنديه

لأن هذا الموضوع لا يمكن إستيعابه دون الإلمام بالويدانت و الأوبانشاد. و هذا ما نصح من دراسة أطروحته بالإمعان" يقول اقبال باحثا في ماس" (٤)

و مماثلته المثيرة للدهشة بالمفكر العظيم كابل (Kapil) الذي عرض نظرية الصمات الثلاثه لخلق الكون و هي ستوا (اى الخير) و تماس (اى الظلام) و رجس (اى العاطفة او الشعور) و منها تتكون الطبيعة عند ما يختل اتزان المادة الجوهرية (اى براكراتي)

و يصيف فيمول (٥)

و من الحلول العديدة لمسئلة تعدد المظاهر و التي حلّها الويدانت ستقديم افتراض قوة مايا السرية و يوصحها ليبنيز (Leibniz) حقنة من الزمن نظريه اكتشاف غير المشهود

و بالاضافة الى تلك يقول إقبال و هو يتناول بالبحث نظرية الحيلى للماهية الالهية عن الفكر البحث و لسماته و صفاته (٦)

و لنمكر الآن في ماهية هذه الصمات

إن أفكاره في هذه المسئلة الشيمة هامة جدا لأن هذه هي النقطة التي يفترق بها هذه النظرية عن الفكر الهندوسي. انهم يقولون إن الصفة وسيلة نعرف بها حقيقة الأشياء و نموضع آخر قالوا إن تباين الصفات عن الحقيقة الميتافيزيقية إنما لا يجوز إلا في حدود المظاهر، لأن كل صفة هنا تعتبر مغايرة للحقيقه التي تلك الصفة من لوازمها و هذا التباين سببه وحود الاتصال و الانعماس في دائرة المظهر إلا أن هذا التباين لا يجوز في دائرة غير المشهود.

و مما يستحق الإعتبار هنا هو اختلافه البين في هذه النقطة عن مفيدي نظريه مايا ، إنه يعتقد بان وجود العالم المادي حقيقة و إن لم يكن هناك من

شك في انه القشر الخارجي لواجب الوجود و لكن حتى هذا العسر سي لا يستهان به في حقيقته إن علة مظاهر الكون - وفقا لإقبال - كما يقول الويدانتيون و بعض المتصوفين - ليس حلما من الاحلام و لكنه حلم يقظه

تو چشم بستی و گفتی که این جهان خواب است
کشاے چشم که این خواب خواب بیداری است

(طبقت عينيك و قلت إن هذا العالم حلم اصح فإن هذا الحلم حلم يقظه)

إن هذا يشير على ما يبدو إلى التفسير الصوفي للاثر المشهور عن سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه و كثيرا ما يذكر هذا الامر و هو

الناس نيام إذا ماتو إنتبهو (٧)

و على نفس الساكلة فإنه لا يتفق بتلك النظريه عن الكون التي تعتبره ظاهرة ليس دونها غرض او لعب من العاب الخالق يعون إقبال مخاصما الصوفي

تری نگاہ میں ہے معجزات کی دنیا
مری نگاہ میں ہے حادثات کی دنیا

(العالم في نظرك عالم المعجزات و هو في عيني عالم الحوادث)

و يقول موضحا التوحيد الخالص للوجود المطلق (٨)

"الالوهيه تماثل التوحيد الخالص و لكن تتباين اسماؤها و صفاتها و قد تتضارب بعض الأحيان فمثلا الرحيم و المنتقم كل منهما يناقض للاخر

و اوضحه في ملحوظة له هامة في هذا السياق (٩)

و فيما يبدو سلسل هذا مماثلة كبيرة بنظرة مظهر برهما الخالق الشخصي أو براجاباس للويدانتا يكون المرحلة الثالثة لواجب الوجود أو شخص برهما ويبدو أن الجيلي كذلك يعترف بشانين للبرهما ـ شان دو الصفات و آخر بدون الصفات كما يعترف به شنكر (Shankar) و بدرايانا (Badrayana) (١٠) في عملية الخلق عندهما، نصمه أساسية تنزل للفكر البحت الذي سمي عند كونه مطلقا ـ است اي الوجود المطلق و ـ ست اي المادة عند كونه مشهودا و هو كونه محدودا كذلك و لكنه برغم هذا التوحيد المطلق راجح بارع الى نظرية تسمه بآرا رامانوجا (Ramanuja) (١١) انه يقر بحقيقه الروح الفردية و يعني ذلك و رغم شنكر انه يلزم وجود "ايسور (الله) و عبادته حتى بعد الوصول إلى درجة اليقين او العرفان الحقيقي

مفسرا نظرية الجيلي يصف إقبال ارتقا الانسان إلى الكمال بشكل تدريجي في ثلاثة أطوار، الطور الأول هو التأمل او المراقبة الذي يقول عنه بتعبير الجيلي (١٢)

و اذا تجلى الله لعبد بأسمائه يمحى ذلك العبد بأنوار الجلالية لتجليات لسمائه

و يوضح إقبال قائلا بأن هذا التماي لا يعني البتاسه بموت الأجساد لأن الفرد لايزال حيا و يبقى متحركا مثل المغزل كما قال كابل (Kapil) بعد أن حصل على درجه الاتصال و الاتحاد سراكارتي (القوة العظيمه الكاملة) و بعد الوصول إلى نفس الدرجه هتف موحد باسي لصبحت انت و لصبحت انت انا (مں تو سدم تو مں شدی) حتى لا يفرق بيننا بعد اليوم أحد

قال إقبال في خطابه عن الصوفية إن بعض الطرق الصوفيه (النقشبنديه على سبيل المثال) اتخذت من الوندانت الهنديه وسائل اخرى للوصول الى مرتبه شهود الغيب (١٣) او استعارتها (١٤) بتعبير اخر يقول

إنهم علّموا المتبع بنظرية كنداني للهندوس القائله بأن في الجسد الانساني ستة مراكز كبرى للاشراق تختلف الوانها و على الصوفي تحريكها بأنواع معينة من التأملات لكي يتسنى له البلوغ - اخر الامر - مكانه شهود الغيب - (١٥)

و على هذا الساكلة فإن نظريه التفاني لأهل التصوف استمدت - وفقا لإقبال - من فلسفة نيروانا (النجاة) للبوذيين و يروق بهذا المقام ذكر قول الاستاذة شميل (١٦) و هو إن هذه النظريه قد اتصلت بعد تحليل و بعدا عميقين للمصادر لم يكونا بالإمكان في تلك العصر و لا يمكن الاعتراف بتأثير البوذيين الا في القرون اللاحقة التي توطدت فيه الروابط بين البوذيين و الطوائف المسلمه من آسيا الوسطى و سؤال يمكن طرحه هنا حول تأثير الفندانت هو ان مرشد الشيخ بايزيد البسطامي الشيخ ابو علي السندي (١٧)- و هو اول من عرض التفسير الميتافيزيقي للتفاني - لا بد ان كان قد اثر في افكاره؟

و الشيخ بايزيد البسطامي كان ولهه أن يتخلص تخلصا كاملا - عن طريق المجاهدات المنتظمة - من جميع العقبات التي تبعده من الله لكي يمكن له الوصول إليه إن الدنيا عنده و الزهد فيها و العبادات و الخوارق و الذكر و حتى مقامات السلوك كلها، إن هي الا الحجبة تحول بينه و بين الله و اخر الامر عندما يخلع أنانيته هذه انسلاخ الحيه من قشارها و يصل الى المكانه المنشودة يظهر عرفانه المتميز نفسه في اقوال متناقضة اى الشطحيات

التي اعتبرت معاصريه مثل قول سبحاني ما اعظم شاني أو "طاعتك اياي احل من طاعتي اياك" وما إلى ذلك.

و سجح خلال تأملاته في أجوا لا مدرك و بسببها اتهم بانه يدعى القيام بتجربة الاسرا مثل الرسول عليه السلام و خلال هذا السير في الاحوا سرفه الله بوحدنيه الانانية و البسه حلة اناسته و لكنه احترز من البرور على اعين الناس و هو في هذه الحال او انه على اجنحة الخلود لحتار جو اللاكيف و انحط على ارض الازليه و زار هناك سحرة الاحدية مما تبين له إن كل هذه المشاهدات لم تسن الا غرورا او انه هو بنفسه كان كل شيء (دائرة المعارف الاسلامية ج١/٩٣٣)

و نظريه أخرى من النظريات العامة للتصوف هي التي تقول (١٨) إن

مركزهم الاصلى و هو عرفان العلم الذي هو مركب عجيب من النفس و الروح و هذا هو الوسيله لمعرفة العلّة الغائيه للكون

يعول الغزالي باسلوب سعب على التفكير

كر ما نكشف عنه العلم او مصدره الذي سمى في مصطلحات الويدانت بالعلم الفائق انما لا يبدو للفرد شيئا يختلف عن شخصه هو و كل ما نظهر له عن طريق هذه الوسيله يكون حقيقة نفسه هو

و ناحيــة اخرى من علم (١٩) التصوف هي نظريته للنجاة يعول المبادىء السامية ان النجاة رهن بتحول ارادتكم و اختياركم بينما تقول تعاليم الويدانت الهندي إن السبب في جميع الآلام هو إننا نخطئ في موقفنا من الكون و من ثم فانه يوصينا بتعبير فكرنا و عملنا طبقا ان الطبيعة البشرية الحقيقية عبارة عن الفكر و ليست عن الارادة و العمل

و في نفس السياق فإن نظرية كون الحقيقة النهائية الجمال الأبدي ـ و التي يعترف بها ابن سيناء وغيره من الصوفية ـ يخصها إقبال بتأثير الهندوس و البوذيين فيقول:

إن هذه النظرية قد نسبت على أيدي أولئك الزوار الهندوس الذين كانوا يسافرون لزيارة تلك المعابد الوثنية في إيران التي مازالت قائمة في باكو حتى ذلك الحين (٢)

لقد تبين من المقتبسات السالفة الذكر إن إقبال كان قد درس الفلسفة الهندية دراسة عميقة و جادة مما خلف آثارا عميقة الجذور على تطور نظرياته الخاصة بعرفان النفس و العمل و الزهد. تقول انا ماري شميل (Anna Marie Schimmel) في كتابها (Gabriel s Wing) (جناح جبريل)

إن علاقته بالفلسفة الهندية و الأدب الهندي الكلاسيكي كان مما لابد له منه من حيث كونه فيلسوفا و بالاوبنساد على وجه الخصوص الذي كثيرا ما كان مراجعه كاتب فلسفة مكس موبلر (Max Mueller) الخاصة بالوبندات محدودة إلى مكتبته الشخصية. و في إبان شبابه عندما كان اقبال راجعا الى نظرية وحدة الوجود، كان معجبا بالسمو الوفير للويدانت و نستطيع كل من يقرأه، الادراك بأنه تلمح في شعره، بعض الاحيان مقولات الاوبنشادات و على سبيل المثال مثل الضفدع في بئر غامرة (٣١) إن مفهوم أتما (الروح) قد أثر في شكل نظريته عن عرفان النفس إلى حدما، و إن عارض الفلسفات الاتصالية بكافة أنواعها مما لا يمكن التقاعس عنه أبدا

و الى جانب ذلك، فإن نظرية التحرر و الانحلال التي عرضت في الاوبنشاد و الفكرة القائلة بأن الروح غير زائلة و التي هي من الأركان الأساسية للفكر الهندي ـ قد أثرتا في إقبال تأثيرا عظيما كما إن آراء اقبال عن الموت صادرة

بالنظرية الهندية الخاصة بالأنا (الروح) إنه يؤمن بأن الروح الانسانية غير فانية. يقول في ابياته المعنونة بـ "ماں کی یاد میں" (في ذكرى الأم)

موت تجدید مذاق زندگی کا نام ہے
خواب کے پردے میں بیداری کا اک پیغام ہے

(إن الموت تجدد مذاق الحياة و رسالة للصحوة في غلاف النوم)

موت کو سمجھے ہیں غافل اختتام زندگی
ہے یہ شام زندگی صبح دوام زندگی

(حسب الغافلون إن الموت نهاية الحياة، إن أفول الحياة هذا فجر للحياة الخالدة)

لو الابيات التالية

ہو اگر خود نگر و خودگر و خودگیر خودی
یہ بھی ممکن ہے کہ تو موت سے بھی مر نہ سکے

(اذا كان عرفان النفس مراقبا على النفس و مهذبا لها و ناهيا - فقد لا تموت حتى بالموت)

بندہ آزاد را شانے دگر مرگ او را می دہد جانے دگر

(إن الأحرار لهم شأنهم و حتى موتهم ينفخ فيهم روحا جديدة)

اسلوك الوبدات

في اول عهده بالشعر كان إقبال قد نظم اشلوكا (أبياتا من الويـــدات) لم يضمها - مع الأسف - أي من دواوينـــه و لكن نجده في ترجمة حياته

"روزكار فقير":

خویشوں سے نہ اندیشہ نہ غیروں سے خطر ہو
احباب سے کھٹکا ہو نہ اعدا سے حذر ہو

(لكن نامن الاصحاب و نامن الاغيار لا مخافة من الاحباب و لا حذر من الاعدا)

روشن مرے سینے میں محبت کا شرر ہو   دل خوف سے آزاد ہو بیباک نظر ہو

(و لكن شرارة الحب متقدة في صدري قلب خال من الخوف و نظر همام جسور)

پہلو میں مرے دل ہو ے آشام محبت   ہر شی، ہو مرے واسطے پیغام محبت

(و ليكن القلب في ضلوعي مولعا بالحب و ليكن كل شي بالنسبة لي رسالة لحب)

و هي ماخوذة من الاسلوك التالي لتنهورا ويدا

"لتكن ليس فيها خوف من الأصدقا و لا الأعدا

لا نخاف من الاقرباء و لا نهاب غيرهم

و لنكن لمعين في الليل و في النهار

يا ليت جميع الجهات كانت لي صديقه

تاثير الاوبنشادات

كتبت الاستاذة اناماري شميل (٢٢)

و من ثم فكان من الطبيعي لفيلسوف شاب كان هو نفسه في تلك الفترة راجحا إلى التوحيد الوجودي أن يكتب عام ١٩٠٧م في اطروحته للدكتوراة: و اصبح هذا التيار (اى الصوفية) بحرا لا ساحل له إلى ان انتهى إلى الموحد

الحلاج، الذي هتف بلسان الأوپانشادات بهتاف "انا الحق" ما معناه "أهم برهم اسمي" (إمي انا البرهما او الباري)

و نفس الشي سجّل في البيت التالي من "كلشن راز جديد" و وضع فيه المنصور و الممثل المتبحر لفلسفة وحدة الوجود في الهند سنكراساريه في صف واحد (٢٣)

وگر تو فکر و منصور کم گوئی خدا را ہم رہِ حویش جوئی

(قل الكلام عن المنصور و سنكراسارية و حتى الخالق ابحث عنه عن طريق وسيله عرفان النفس)

و مراجعة النظريه الثورية لعرفان النفس في شعر اقبال لقد لوصحت الأستاذة اناماری سميل فعالب الذي يتحذ بعض الأحيان، سكل عرفان النفس يحيط الكل الذي تتكون منه سر للعوالم و هويات منفرده تحلق لانفسها اكواما صغرى هذا ما سنه الشاعر اقبال في الأبيات التالية من ديوانيه "اسرارخودی" و "رموز عجم"

پیکر ہستی ز آثار خودی ست ہر چہ می بینی ز اسرار خودی ست

(إن مظهر الحياة هذا من آثار عرفان للنفس و كل ماتراه هو من أسرار عرفان النفس)

سازد از خود پیکر اغیار را تا فزاید لذت پیکار را

(ان عرفان النفس من نفسه يخلق مظهر غيره حتى يزداد معركة الحياة لذة)

این جهان چیست؟ صنم خانۂ اسرار من است
جلوۂ او گرو دیدۂ بیدار من است

(الوجود و العدم (الفنا و البقاء) بنظري إليه و عدم نظري إليه أي زمان؟ و أي مكان؟ كله من نشاطات فكري)

و أضاف الأستاذة اماري شميل، مرلحمة هذه الأبيات من ديوانه بال جبريل و زبور عجم بأنها تبدو في فكرها الأساسية عند اقبال صادرة بالأوپانشادات

خودی کیا ہے؟ رازِ درونِ حیات　　خودی کیا ہے؟ بیداریٔ کائنات

(ما عرفان النفس؟ السر المكنون للحياة ما عرفان النفس؟ يقظة الكون)

جہاں غیر از تجلی ہاے ما نیست　　کہ بے ما جلوۂ نور و صدا نیست

(إن الوجود ليس له حقيقة لذا جرد عن تجلياتنا إذ أن مظاهر الأنوار و الأصوات دوننا ـ لا شيء)

إن التعبيرات التالية من أسرار خودي كذلك جديرة بالملاحظة

"شب ز خوابش روز از بیداریش"

(الليل من نوم عرفان النفس و النهار من يقظته)

"شعلۂ خود در شرر تقسیم کرد"

(إن عرفان النفس هو الذي وزع شعلته في الشرارات) (٢٤)

و هذا يذكرنا بذلك التعريف التقليدي للأتما (الروح) الذي جاء في أوپانشاد

كوشي ناكي و مثلما ستق الشرارات من النيران الملتهبة و تتناثر في جميع الجهات فعلي نفس الشاكلة تخرج من عرفان النفس (اتما) أساس الحياة و فيها تتولد الاحاسيس و من هذه الاحاسيس تخلق العوالم

فلنرع كذلك استعارة المخروطة التي استعملها إقبال في ديوانه پيام مشرق (رسالة الشرق)

حور افروزم چراغ راه خویشم

(أنا أنير سراج طريقي من نفسي)

و يتبين من هذا إن مفاهيم عرفان النفس في معانيه البحتة و مجردة عن سياقها لا تبتعد بكثير عن الرؤية الهندية للآتما و التي وردت في أوبانشاد بهرا داراهايكه (٢٥)

بايحنا و الكيه[1] إذا غربت الشمس و أفل القمر و خمدت النيران و فارقت الكلمات فأنى للمرء من نور؟ إن عرفان النفس هو نوره في الواقع قال لأنه - في الحقيقة - اذا يتباعد تلك المرء فعرفان النفس يتحول نورا يتحرك و يرجع بعد كمانته

و لوضحت الأستادة شمين كم كان إقبال متأثرا برجال الفكر الهنود و كيف تعامل الرموز المختلفة للفلسفة الهندية في كتاباته

الديانة البوذيــــة

إن الأستاذ إقبال يعتبر غوتم بوذا من الهداة و قد أبدت بذلك احترامه للشخصيات الجليلة من جميع الديانات. تقوم رهبانية غوتم بوذا - في رأيه - على الأسس الانسانية و تعود منها تدرس مواساة البشر فهي جاويد نامه يلتمس رنده رود (اقبال) بغوتم بوذا بوادي طواسين، و نجد ذكر حدث تعظ فيه غوتم بوذا جارية حسناء من البلاط الملكي اسمها امباپالي.

مے دیرینہ و معشوق جواں چیزے نیست
پیش صاحب نظراں حور جناں چیزے نیست

(الخمر العتيق و الحبيب الشاب لا شيء و حتى حور الجنان ـ عند أولي الأبصار لا شيء)

ہر چہ از محکم و پایندہ شناسی گذرد
کوہ و صحرا و بر و بحر کراں چیزے نیست

(سينقضي كل ما تراه قائما دائما الجبل و الصحارى و اليبس و البحر و الساحل كلها لا شيء)

دانش مغربیاں، فلسفہ مشرقیاں
ہمہ بت خانہ و در طوف بتاں چیزے نیست

(حكمة أهل الغرب و تفلسف أهل الشرق كله بيوت الأصنام و الطواف حول الأصنام لا شيء)

از خود اندیش و ازیں بادیہ ترساں مگذر
کہ تو ہستی و وجود دو جہاں چیزے نیست

(فكر في نفسك و لا تمر بهذه البادية خائفا مرتاعا لأنك أنت الموجود و وجود العالمين لا شيء)

در طریقے کہ بنوک مژہ کاویدم من
منزل و قافلہ و ریگ رواں چیزے نیست

(في الطريق الذي شققته بأهدابي المنزل و الموكب و السراب كلها فيه لا شيء)

و في سد لحر من نعس اللبيب يفهم غوتم بوذا الحياة و الممات و الحزاء و العقاب و حسن السيرة و طهارة الفكر باسلوب سيق جميل.

مگذر از غیب کہ ایں وہم و گماں چیزے نیست
در جہاں بودن و رستن زجہاں چیزے ہست

(دع التعيب فيل هذه الاوهام و الظنون لا شي لما العيش في الدنيا و بدون التلبس بها فانه من عزم الامو)

آں بہشتے کہ خدائے بتو بخشد ہمہ ہیچ
تا جزائے عمل تست جناں چیزے ہست

(الجنه التي يعطيكها ربك لجنة سيه لما اذا كانت جزا بما عملت فلها شيء يذكر)

راحت جاں طلبی؟ راحت جاں چیزے نیست
در غم ہم نفساں اشک رواں چیزے ہست

(المريد هدو البال في هدو للبال لا سيء إراقة الدموع همّا بالرفقا و الخلان من بني جلدتك هو كل سي)

چشم مخمور و نگاہ غلط انداز و سرود
ہمہ خوب است و لے خوشتر ازاں چیزے ہست

(العيون الحالمه الساحرة و النظرات الخررا الفتانة و الرقص و الموسيقى كلها جميل و لكن يوجد شيء هو اجمل منها)

حسن رخسار دے هست و دے دیگر نیست
حسن کردار و خیالات خوشاں چیزے هست

(إن جمال الخدود (الجمال الخارجي) يدوم ساعة ثم يصبح بعد لحظة في حكم كلا و
إن جمال السيرة و الأفكار السامية إنما هو شيء عظيم)

و يذكرنا هذا البيت بالأبيات البسيطة الرائعة لـ اصاناللی و ما معناها
التقريبي باللغة العربية كالتالي

أسود و مشرق كالنحل كان شعري المتلو، و لكنه الآن شيخوختي اصبح
ناصعا مثل خيوط الملوخية، و لا يكون حديث الصادق كذبا[1]

- كان صوتي حلوا شجيا مثل صوت الطير كوثل الطائر في العادب العنا
و لكن في شيخوختي - اصبح صوتي ترتعد سراته و لا يكون حديث الصادق كذبا

- كان جسدي في أيام زمان جميلا كالشمس المشرقة و لا يكون حديث
الصادق كذبا[1]

و تتوب الغانية الحسناء متيبة بعد ما تستمع إلى كلام غوتم بوذا و تصبح
من لتناعه و تعاف الدنيا و تقول

فرصت کشمکش مده ای دل بے قرار را
یک دو شکن زیاده کن گیسوے تابدار را

(لا تتح لهذا القلب المعذب فرصة للتردد و الارتياب و زد يا حبيبي خصلات شعرك ليه لو
ليتين أي زد نفسك جمالا يستهويني)

از تو درون سینه ام، برق تجلی که من
با مه و مهر داده ام تلخی انتظار را

(و بك في باطن صدري رعد تجلى لنقب به حس للشمس و القمر مرارة الانتظار)

ذوق حضور در جهان رسم صنم گری نهاد
عشق فریب می دهد جان امیدوار را

(إن التلهف إلى الشهود أرسى في هذا العالم تقاليد نحت الأوثان إن الهيام يمني النفس الراجيه في غرور دائم)

تا بفراغ خاطرے نغمهٔ تازی زنم
بار به مرغزار ده طائر مرغزار را

(و لكى أعرف بلحن جديد هادئ البال؟ أعد الى طائر البستان بستانه)

طبع بلند داده، بند ز پاے من کشای
تا به پلاس تو دهم خلعت شهریار را

(لقد وهبتني طبيعة همامه عالية فحل من قدمي الأغلال التي نرسفل فيها لكي استحلي عن الحلّه الملكيه الفاخرة لأجل حبك)

تیشه اگر بہ سنگ زد، این چه مقام گفتگو ست؟
عشق بدوش می کشد این همه کوهسار را

(اذا شق فرهاد العاشق الولهان الجبال بمعوله فما يدعوك فيه للعجب؟ إنما الحب هو الذي يحمل جميع هذه الجبال الرواسي على كاهله)

غايانـــــــــري.

يـقـول مـؤلـف قـصـة حـياة إقبال عبد المجيد سالك إن إقبال كان قد درس اللغة السنسكريتية و عطيه فيضي كذلك، يصدق بقوله و قصيدة من عهده الأول مأخوذة من غايانري الذي هو كلمات قديسة للهندوس

ايها النور الأزلي! يا أيتها الشمس النيرة!

تعال! لنعبدك

تعال ! و اعطنا من نورك نور الحكمة

و تـجدر الاشارة هنا إلى انه عندما طبعت هذه الابيات في مجلة مخزن لأول مـرة فـــي عـام ١٩٠٢م صـحـبـتـها ملحوظة تعديم مـــن إقبال و فيما يلي نصها (٢٧)

إنـه من الـواقـع أن تـرجـمـة دقـائـق الـكـلـمـات السـنـسكريتية إلى لغتنا الـحـاضـرة لـيـس بأمر ميسور و يجب هنا الايضاح بأنه ليس لكلمة سوبيتور مـقـابل يناسبها في اللغة الأردية. و بشكل عام تترجم هذه الكلمة بـ افتاب أي الـشـمـس و لكن المراد بها هنا، هو تلك الشمس التي تشرق ورا السموات و التي هي مـصـدر اسـتـضـاءة لـشـمـسـنـا هذه كذلك و الأمم السابقة القديمة و أهل الـتـصـوف الـمـسـلـمـين، كـذلك وصفوا وجود الله بالنور و قد ورد في التنزيل الـعـزيـز "الـلـه نـور الـسـمـوات و الارض" إن غايانري الذي هو نموذج منقطع النظير من الكلمات و الأصوات، غني جدا بالإيقاع و الحلاوة، و ترجمتها من باب شـبـه الـمـسـتـحيلات، و نظرا لهذه العقبات و الصعوبات فإن ترجمتها تستند إلى تـفـسـيـرهـا الـمـكتوب في اوبانيشاد سوريه نارائنا" إن ابياتي جميلة غيرأنها

لا يجوز عليها اطلاق عابتري

اے آفتاب! روح رواں جہاں ہے تو
شیرازہ بند دفتر کون و مکاں ہے تو

(يا شمس! أنت الروح السارية في العالم أنت الجامعة لما يتشتت من أمور هذا الكون)

باعث ہے تو وجود و عدم کی نمود کا
ہے سبز تیرے دم سے چمن ہست و بود کا

(أنت السبب لمظهر هذا الوجود و العدم و بك يقوم هذا البستان من البقا و الفنا ناضرا)

قائم یہ عنصروں کا تماشا تجھی سے ہے
ہر شے میں زندگی کا تقاضا تجھی سے ہے

(و بك أنت يدوم هذا اللعب للعناصر الاربعة و حياة كل شيء بحياتك أنت)

ہر شے کو تیری جلوہ گری سے ثبات ہے
تیرا یہ سوز و ساز سراپا حیات ہے

(و دوام كل شيء بتولعك أنت و هذا الطرب و الشجن فيك هو الحياة كله)

وہ آفتاب جس سے زمانے میں نور ہے
دل ہے، خرد ہے، روح رواں ہے شعور ہے

(الشمس التي يتنور بها الوجود كله إنما هي القلب و الفكر و المعرفة و الروح السارية و الشعور)

اے آفتاب ہم کو ضیائے شعور دے
چشم خرد کو اپنی تجلی سے نور دے

(يا شمس! جودي لنا بنور الوعي، و نوري أبصار الفكر بتجلياتك)

ہے محفل وجود کا ساماں طراز تو
یزدان ساکنان نشیب و فراز تو

(أنت التي تديرين الأمور في هذا المحفل للموجودات و أنت رب سكان كل واد و جبل)

تیرا کمال ہستی ہر جاندار میں
تیری نمود سلسلۂ کوہسار میں

(كمالك بادٍ في وجود كل شيء و مظهرك بين في جميع سلاسل الجبال)

ہر چیز کی حیات کا پروردگار تو
زائیدگان نور کا ہے تاجدار تو

(أنت رب حياة كل شيء و أنت ملكة التاج، لجميع خلائق الأنوار)

نے ابتدا کوئی، نہ کوئی انتہا تری
آزاد قید اول و آخر، ضیاء تری

(لا بداية لك و لا نهاية، و نورك بريء من القيود الأزلية و الأبدية)

فلسفة عمل لبهاغوات غيتا:

كان إقبال متأثراً تأثرا كبيرا بفلسفة العمل التي يقدمها بهاغوات غيتا إن عرفان النفس (آتما) ليس له فنا و العمل للعمل و بصرف النظر عن الثواب و العقاب من أسمى أهداف الحياة، و من تعاليمه الأساسية أنه على المرء أن

يعمل دون الحفل بما يعود به هذا العمل من ثواب او عقاب و إن التفاني التام في العمل (اى ترك الشهوات) ينعش الروح و يصلها بالروح الابدية اى الوجود المطلق في كلمات التقديم لقصيدته "اسرار خودى" سلّط إقبال الضوء على العامل الحقيقي لتعاليم غيتا حيث يقول:

إن سرى كرشنا جي، سيذكر دائما بكل اجلال و اعجاب، لان هذا الرجل العظيم انتقد التراث الفلسفي لبلاده و لمته باسلوب رشيق، و اثبت ان ترك العمل ليس معناه ان لا نعمل عملا على الاطلاق، لان العمل (كرما) شيء تقتضيه الطبيعة و إنه ينفخ في الحياة روحاً جديدة، بل ان ترك العمل معناه - في الواقع - ان نعزل انفسنا عن نتائج الأعمال (٢٨)

و يبدو ان تاثير بهاغولت غيتا من مكونات جوهر فلسفة العمل التي قدمها إقبال و إن كان مصدرها الاصيل هو التعاليم الإسلامية. و فيما يلي بعض من ابياته المعروفه في رسالته للعمل

عمل سے زندگی بنتی ہے جنت بھی جہنم بھی
یہ خاکی اپنی فطرت میں نہ نوری ہے نہ ناری ہے

(من العمل بما الحياة و الجنة و جهنم كذلك و إلا فلن سليل الارض هذا بطبعه لا نوريا و لا ناريا)

اپنی دنیا آپ پیدا کر اگر زندوں میں ہے
سرِ آدم ہے، ضمیرِ کن فکاں ہے زندگی

(إخلق دنياك من نفسك اذا كنت من الاحياء، فإن الحياة سر آدم و سبب وجود الكون)

تأثير الفلسفة و الفكر الهندي في شعر إقبال

یقیں محکم، عمل پیہم، محبت فاتح عالم
جہاد زندگانی میں ہیں یہ مردوں کی شمشیریں

(اليقين الصادق و العمل الدؤوب المتواصل و الحب فاتح العالم هذه هي سلاح الأبطال في معركة هذه الحياة)

جس کا عمل ہے بے غرض اس کی جزا کچھ اور ہے
حور و خیام سے گزر، بادہ و جام سے گزر

(من كان عمله خالصاً، دون رغبة في شيء فإن له جزاء آخر فجاوز أيها المخاطب الحور العين و الخيام ودع الخمر و الكأس)

قناعت نہ کر عالم رنگ و بو پر
چمن اور بھی آشیاں اور بھی ہیں

(لا تقتنع بعالم الألوان و العطر لأن هناك بساتين أخرى و مأوى غيرها كذلك)

تو شاہیں ہے، پرواز ہے کام تیرا
ترے سامنے آسماں اور بھی ہیں

(أنت شاهين و مهمتك هي الطيران، و أمامك سموات و أجواء أخرى كذلك)

ہر اک مقام سے آگے گزر گیا مہ نو
کمال کس کو میسر ہوا ہے بے تگ و دو؟

(جاوز الهلال كل أطواره ؛ و من الذي يحصل له الكمال دون سعي و جهد)

راز ہے راز ہے تقدیر جہاں تگ و تاز
جوش کردار سے کھل جاتے ہیں تقدیر کے راز

(مصير عالم الجهد و السعي من الأسرار المكنونة ولكن بقوة العمل و الأخلاق تتكشف أسرار القدر)

فطرت کو خرد کے روبرو کر
تسخیر مقام رنگ و بو کر

(عرض الطبيعة على محك الحكمة وسخر عالم الألوان و الشذى)

یہ گھڑی محشر کی ہے تو عرصۂ محشر میں ہے
پیش کر غافل، عمل کوئی اگر دفتر میں ہے

(هاهي ذي الساعة قد قامت و أنت في فترة النشور فقدم يا غافل إن كان عندك من عمل عملته)

وشوا مترا

و نجد ذكر الفلسفة و الفكر الهنديين في تلك الأبيات من منظومة جاويد نامه التي يجري فيها حوار بين وشوامترا (صديق العالم)، و الشيخ الرومي وقد جا في هذا الحوار وصف للمفاهيم الإلهية و الفلسفية للإسلام و الهندوسية يوجه صديق العالم (وشوامترا) إلى زنده رود (إقبال)، من أجل الاطلاع على مبلغه العلمي الأسئلة التالية:

گفت مرگ عقل؟ گفتم ترک فکر
گفت مرگ قلب؟ گفتم ترک ذکر

(سألني عن موت العقل فقلت إنه ترك الفكر، و قال ما هو موت القلب؟ فأجبت إنه ترك الذكر[1])

گفت تن؟ گفتم که زاد از گرد راه
گفت جان؟ گفتم که رمز لا اله

(سأل عن الجسد فقلت له حفنة من غبار الطريق قال و الروح؟ فأجبت إنه سر لا إله)

گفت آدم؟ گفتم از اسرار اوست
گفت عالم؟ گفتم او خود روبروست

(قال ما هو البشر؟ قلت إنه من أسراره تعالى، قال و الدنيا ؟ فأجبت إنها أمامك و نراها عيانا)

گفت این علم و هنر؟ گفتم که پوست
گفت حجت چیست؟ گفتم روی دوست

(قال و هذه الحروف و العلوم ؟ قلت له مجرد القشور ثم سألني ما هي الحجة؟ فأجبت رؤية الحبيب)

گفت دین عامیاں؟ گفتم شنید
گفت دین عارفاں؟ گفتم که دید

(سأل عن دين الجماهير فقلت الاستماع ، ثم قال و ما هو دين العارفين؟ فأجبت الشهود)

از کلام لذت جانش فزود
نکته هائے دلنشیں بر من کشود

(زاده كلامي فرحا و حبوراً، فكشف لي عن حكمه الرائعة)

و أفهم العارف الهندي وسوامترا إقبال تسع نكات فلسفية أخرى و هي كالتالي

ذات حق را نیست ایں عالم حجاب
غوطه را حائل نه گردد نقش آب

(ليس هذا العالم بحجاب يحجب الله تعالى، فإن عباب البحر لا يحول بين الغواص و غوصه)

زادن اندر عالمے دیگر خوش است
تا شبابے دیگرے آید بدست

(الميلاد في العالم الآخر شيء حسن جميل، ليحصل لك شباب جديد)

حق ورائے مرگ عین زندگی است
بندہ چوں میرد نمی داند کہ چیست

(إن حقيقة ما بعد الموت هي عين الحياة، و إن العبد اذا يموت، لا يعلم من أخبار هذا العالم شيئا)

گرچہ ما مرغاں بے بال و پریم
از خدا در علم مرگ افزوں تریم

(و نحن ـ و إن كنا طيورا لا جناح لها و لا ريش ولكننا أدرى بالموت من الله)

وقت؟ شیرینی بزہر آمیختہ
رحمت عامے بقہر آمیختہ

(لا تسئل عن الزمن؛ فإنه حلوى ممزوجة بالسم ورحمة عامة مشوبة بغضبه)

خالی از قہرش نہ بینی بحر و دشت
رحمت او این کہ گوئی درگزشت

(لا تظن مكانا يخلو من غضبه لا البوادي و لا الحاضرة، لا العمرانات و لا الخرابات، مر بسلام فإنما هو من رحمته)

کافری مرگ است اے روشن نہاد
کے سزد با مردہ غازی را جہاد

(الكفر موت يا صاحب القريحة الوقادة! و متى يليق بالمجاهد الغازي القتال مع الموتى)

مرد مؤمن زنده و با خود بجنگ
بر خود افتد همچو بر آهو پلنگ

(إن الرجل المؤمن حي و مشتبك مع نفسه، و إنه ينقض على نفسه انقضاض الأسد المنقض على الغزال)

کافر بیدار دل پیش صنم
به ز دینداری که خفت اندر حرم

(و من يسجد أمام صنم بحضور القلب خير من عابد يعبد الله في الحرم و هو عنه غافل)

چشم کور است این که بیند ناصواب
هیچ گه شب را نه بیند آفتاب

(عميا هي العين التي ترى من وجه غير حق، فإن الشمس لا ترى الليل أبدا)

صحبت گل دانه را سازد درخت
آدمی را صحبت گل تیره بخت

(إن صحبة التراب جعلت من النواة شجرا ذا ظل ظليل و لكن الإنسان لا تجديه صحبة التراب نفعا)

دانه از گل می پذیرد پیچ و تاب
تا کند صید شعاع آفتاب

(النواة تقتبس من التراب الغيرة و الاعتزاز بالذات حتى تصبح تعرس لأشعة الشمس)

من به گل گفتم بگو ای سینه چاک
چون بگیری رنگ و بو از باد و خاک

(قلت للزهر قل لي يا مخروق الجيب' يا مجنون' كيف تأخذ هذه الألوان و الشذى من الرياح و الأتربة؟)

گفت گل ای هوشمند رفته هوش!
چون پیامے گیری از برق خموش

(فأجاب الزهر قائلا: يا حكيم أبله! إنني أستقيهما من الكون مثلما تتلقى الرسائل عن طريق كهرباء عجماء)

جان به تن ما را ز جذب این و آن
جذب تو پیدا و جذب ما نهان

(إن الحياة في أجسادنا باجتذاب هذا و ذاك، أما اجتذابكم فهو بادي منظور و أما اجتذابنا فهو مخفي مستور')

بهارتاري هاري

إن اقبال من المعجبين اعجابا شديدا بالشاعر السانسكريتي المعروف بهارتاري هاري يروى أن بهار تاري هاري كان ملكا لمنطقة "اجين" منغمساً في اللهو و اللعب و زخارف الدنيا و لكنه عاف سواه آخر الامر و تفرغ للرياضة و الذكر و الفلسفة و الشعر يقول مكس موليير (Max Mueller)

"إن عهده يرجع إلى القرن السابع للميلاد غير أنه أمر مختلف فيه و بجانب كونه شاعرا و فيلسوفا، كان بهار تاري هاري من علما القواعد النحوية

السانسكريتية وكان من أتباع عقيدة وحدة الوجود. و على نقيض غيره من أتباع الويدانت، ما كان يعتقد باكتشاف الحق بوسيلة الحجة العقلية و كان من راى ان البحث عن الحق عن طريق الدليل، مثله مثل الذي يفتقد ضالته في الظلام الحالك إن الحق - عنده - لا يمكن إدراكه الآ بالحب و هذا ما يتطابق مع فكر إقبال كذلك."

و يرى مكس موليرا ن ناحية هامة من نواحي شعر بهارتارى هارى، هي أنه كذلك يرى العمل منفصلا عما يترتب عليه من نتائج و هذا من التعاليم الاساسية لـ "بهاغولت غيتا" في جاويد نامه يقدم الشيخ الرومي في الجنة لقبال إلى بهاتارى هارى.

حوریاں را در قصور و در خیام
ناله من دعوت سوز تمام

(للحور في قصور الجنان و خيامها، كان بكائى دعوة للاحتراق التام)

آں یکے از خیمه سر بیروں کشید
واں دگر از غرفه رخ نمود و دید

(فهذه اطلّت برأسها من خيمة، و تلك اقبلت بوجهها و أشرفت من شباك غرفة)

هر دلے را در بهشت جاوداں
داده از درد و غم آں خاکداں

(فاعطيت كل قلب يسكن في جنة الخلد شيئا من هموم هذا المظروف الترابي اى هذه الدنيا)

زیر لب خندید پیر پاک زاد
گفت ای جادوگر هندی نژاد

(فابتسم الشيخ التقي (الشيخ الرومي، و قال مرحى أيها الساحر الهندي!)

آن نوا پرداز هندی را نگر
شبنم از فیض نگاه او گهر

(انظر إلى هذا الهاتف الهندي الذي، بنظرة منه يتحول الندى لآلئ)

نکته آرایی که نامش برتری است
فطرت او چون سحاب آذری است

(إن هذا الحكيم يقال له بهار تري هاري وشيمته نحت التماثيل)

از چمن جز غنچه نورس نچید
فکر تو سوی ما او را کشید

(إنه لم يجن من الحديقة سوى البراعم و غناؤك هو الذي جلبه إلينا)

پادشاهی با نوای ارجمند
هم به فقر اندر مقام او بلند

(ملك ذو صوت نبيل ! و مكانته رفيعة حتى في الفقر)

نقش خود بے بستہ از فکر شگرف
یک جہاں معنی نہاں اندر دو حرف

(إنه ينظم شعره بفكر بديع، و يعكس في كلمتين منه عالم من المعاني)

کارگاہ زندگی را محرم است
او جم است و شعر او جام جم است

(إنه صاحب السر لمضمار هذه الحياة، إنه الملك جمشيد و شعره كأس جمشيد)

ما بہ تعظیم ہنر برخاستیم
باز پاسے صحبت آراستیم

(قمنا اجلالاً لفنه ثم لخذنا بأطراف الأحاديث بيننا)

و هنا يسأل رنده دود (اقبال) بهار تاى هاري عن سر استلهام شعره

اے کہ گفتی نکتہ ہائے دل نواز
مشرق از گفتار تو دانائے راز

(يا صاحب النكات الرائعة، بفضل كلامك اصبح الشرق عارفا بالأسرار)

شعر را سوز از کجا آید بگوئے
از خودی یا از خدا آید بگوئے

(قل لي من اين يأتي في الشعر الشجي؟ قل لي من عرفان النفس يأتي او من الله؟)

و يوضح له بهارتاری هاری مجيبا على سواله

کس نداند در جهان شاعر کجاست
پردهٔ او از بم و زیر نواست

(لا يدري أحد أين يوجد الشاعر في هذا العالم، إن صوته يكون له حجابا يختفي وراءه)

آن دل گرمے کہ دارد در کنار
پیش یزدان هم نمی گیرد قرار

(القلب المحترق الدافىء الذي يحمله في جوانحه لا يهدأ و لا يقر له قرار حتى بين يدي الخالق)

جان ما را لذت اندر جستجوست
شعر را سوز از مقام آرزوست

(إن أنفسنا تتلذذ بالتطلع إلى مزيد من المعرفة، و يأتي الشجن في الشعر من حالة التمنى و الحنين)

اے کہ از تاک سخن مست مدام
گر ترا آید میسر این مقام

(يا أنت من دائما يكون سكرانا بخمر الشعر اذا تسنى لك بلوغ هذه المرتبة)

با دو پیچ در جهان سنگ و خشت
می توان بردن دل از حور بهشت

(فببهيمين من شعرك في هذا العالم من الحجر و الحصى، تستطيع الفوز بوداد حور الجنان)

و يتبين من الأبيات المذكورة أعلاه كم كانت مكانة بهار تاى هارى رفيعة عند اقبال وكم كان محبا به و معترفا و يقول إقبال مسترعيا نظر بهار تاى هارى الى المواطنين الهنود المناضلين من أجل حريتهم لشد النضال

هندیان را دیده ام در پیچ و تاب
سر حق، وقت است گوئی بے حجاب

(إني قد رأيت الهنود منضمرين غضبانين و قد حان الوقف لتبين لهم أسرار الحق بدون مجلجلة)

و يجيب عليه بهار تارى بما يلي

ای خدایان تنک مایه ز سنگ اندروز خشت
برتری جست که دور است ز دیر و ز کنشت

(هذه الآلهة الحقيرة لما من الحجر لو من اللبن إنه بهارتاى هارى الذي هو بعيد عن البيع و الكنيسة)

سجده بی ذوق عمل خشک و بجایی نرسد
زندگانی همه کردار چه زیبا و چه زشت

(السجود دون رغبة صادقة لا طعم فيه و لا جدوى و ما الخير؟ ما الشر؟ الحياة كلها العمل)

فاش گویم با تو حرفی که نداند همه کس
ای خوش آن بنده که بر لوح دل او را بنوشت

(اكشف لك عن شيء لا يدريه أحد و يا حبذا من يكتبه على لوحة قلبه)

این جهانی که تو بینی اثر یزدان نیست
چرخه از تست و هم آن رشته که بر دوک تو رشت

(إن هذا العالم الذي تراه ليس من آثار الباري هذا المغزل لك أنت و لك ما تغزل به)

پیش آئین مکافات عمل سجده گزار
زانکه خیزد ز عمل دوزخ و اعراف و بهشت

(اخضع لدستور مكافأة العمل لأن النار و الأعراف و الجنة كلها بالعمل)

و هذه الأبيات - في رأي الأستاذة شميل (Chumaiel ؟) - ترجمة لبيته للمنظوم رقم ٣٣٦٧ من طبعة بوتلنغ، و المنظوم كالتالي

- إننا نعبد الآلهة و لكنها كذلك خاضعة لأمر القادر المطلق (أي البرهما)

- فما لنا لا نعبد هذا القادر المطلق ذاته

- ولكنه أيضا لا يعطى المرء إلا ما قدر له من نصيب القدر المقسوم
- و القدر بالأعمال
- إذن فما لنا و لهذه الآلهة المتنوعة بل ما لنا و لربها القادر المطلق
- العمل الذي حتى القادر المطلق لا يتدخل في جزائه، إنما لحى ذلك العمل)

لقد كان اقبال متأثرا ببهارى تارى هارى لدرجة انه اتخذ بيتا من أبياته شعارا لديوانه الثاني بالأردية و اسمه "بال جبريل":

پھول کی پتی سے کٹ سکتا ہے ہیرے کا جگر
مرد ناداں پر کلام نرم و نازک بے اثر

(ان وريقة الزهرة الرقيقة لتقطع قلب الماس المتحجر و لكن الجاهل لا يؤثر عليه الكلام اللين البسيط بشيء)

و البيت مأخوذة من الاشلوك التالي لنيتي ستك (٢٩) بهار تارى

(إن الذي يريد هداية ضال إلى سواء السبيل بكلامه اللين البسيط فمحاولته هذه لمحاولة باطلة و مثله كمثل الذي يحاول ربط فيل هائج بخيوط رقيقة من سيقان زهيرة اللوطوس ، أو كالذي يحاول قطع الماس بطرف وريقات زهرة رقيقة أو الذي يحاول تصيير مياه البحر المالحة عذبة من عسل

نيمه بنظم قصة راماينا

و نستجلى مما سبق ان اقبال كان له إلمام تام بالفلسفة و الأساطير

و المعتقدات الدينية الهندية و يقال إنه كان من المولعين بالشعر الهندي الاسطوري تنويها عظيما و كان قد أراد الميام - في وقت من الأوقات - نظم قصة رامايندا بالشعر الأردي لقد كتب في رسالة وجهها إلى مهاراجا هركسن برشاد ان الشاعر مسيحي، كان قد نقل هذه الأسطورة إلى اللغة الفارسية في عصر الامبراطور جهانكير و طلب إقبال من مهاراجا استكشاف نسخة مسيحي في مكتبته و لكن - من سوء الحظ - لم يمكن العثور على هذا الكتاب فلم تتمد هذه الخطة كذلك

احترامه للنساك و العظماء الهنود

إنه يلزم لإيجاد روح من الوحدة القوميه و ابعادها أن يتبادل أتباع مختلف الديانات الاحترام للقادة و الأساطين الدينية للديانات الأخرى و بهذا الخصوص استهج اقبال نهجا جديدا فقد ألف المنظومات و القصائد عن النساك و القادة الدينيين الهنود ففي أبياته عن رام تشاندرا جي، يشيد اقبال بشجاعته و فتوته و عفته و حنانه العميق تجاه البشرية:

لبریز ہے شرابِ حقیقت سے جامِ ہند
سب فلسفی ہیں خطۂ مغرب کے رامِ ہند

(ان كأس الهند مفعم يكاد يفيض بخمر الحقيقة - و كل الفلاسفة من أهل الغرب مفتونون بالهند)

یہ ہندیوں کی فکر فلک رس کا ہے اثر
رفعت میں آسماں سے بھی اونچا ہے بامِ ہند

(و هذا من تأثير الفكر الرفيع السامي عند الهنود - و فاقت الهند حتى السماء في رفعتها)

اس دیس میں ہزاروں ہوئے ہیں ملک سرشت
مشہور جن کے دم سے ہے عالم میں نام ہند

(و قد عاش في هذه البلاد آلاف من كانت طبائعهم مثل الملائكة - و بهم يدوم صيت الهند في الافاق)

ہے رام کے وجود پہ ہندوستاں کو ناز
اہل نظر سمجھتے ہیں اس کو امام ہند

(إن الهند لتفتخر بوجود رام - و يعتبره أهل الأبصار إماما للهند)

اعجاز اس چراغ ہدایت کا ہے یہی
روشن تر از سحر ہے زمانہ میں شام ہند

(و من معجزات هذا السراج الهادي أن أصبح الهند في العالم أشد إشراقاً من الصبح)

تلوار کا دھنی تھا شجاعت میں فرد تھا
پاکیزگی میں جوش محبت میں فرد تھا

(كان له المدح المطلق في الحرب - و كان فردا في شجاعته و عفته و ولهانه)

و من الجدير بالملاحظة إن هذه الأبيات تنتمي إلى الطور الثالث من تاريخه الشعري مما يقال عنه عامة إنه العهد الإسلامي من شعره. و على هذا المرار قال أبياتاً جذابة عن غوروناناك أشار فيها إلى عقيدته بالتوحيد و في نفس الأبيات أعرب عن إعجابه و تقديره تجاه غوتم بوذا و عن أسفه بأن

لإخوانه المواطنين قد اهملوا تعاليم غوتم بوذا كما أبدى فيها عدم ارتياحه بأن ظروف المنبوذين في هذه البلاد لتستحق الترحم و تندر عواطف التعاطف البشري و التكافؤ تجاههم

قوم نے پیغام گوتم کی ذرا پرواہ نہ کی
قدر پہچانی نہ اپنے گوہر یک دانہ کی

(لم تبال الأمة أدنى مبالاة برسالة غوتم - و لم تقدر هذه الدرة اليتيمة حق قدرها)

آہ بدقسمت رہے آواز حق سے بے خبر
غافل اپنے پھل کی شیرینی سے ہوتا ہے شجر

(وا أسفاه! ظل الأشقياء في غفلة من نداء الحق - و متى تشعر الشجرة بحلاوة ثمرته؟)

آشکار اس نے کیا جو زندگی کا راز تھا
ہند کو لیکن خیالی فلسفے پر ناز تھا

(إنه كشف عما يكمن في الحياة من سر - و لكن الهند إنما كانت تتبجح بفلسفتها الوهمية)

شمع حق سے جو منور ہو یہ وہ محفل نہ تھی
بارش رحمت ہوئی لیکن زمیں قابل نہ تھی

(لم يكن لهذا المحفل أن يتزين بشمع الحق - هطلت الأمطار و لكنها تركتها صلدا)

آہ شودر کے لیے ہندوستاں غم خانہ ہے
دردِ انسانی سے اس بستی کا دل بیگانہ ہے

(وا اسفاه إن الهند بالنسبة للمنبوذين بيت للأحزان - و قلب هذا العمران يخلو من التعاطف للبشر)

برہمن سرشار ہے اب تک مئے پندار میں
شمعِ گوتم جل رہی ہے محفلِ اغیار میں

(ان البرهمن لا يزال بعد سكرانا بشراب الأنانية - و شمع غوتم يضيء حفل الأجانب)

بتکدہ پھر بعد مدت کے مگر روشن ہوا
نورِ ابراہیم سے آزر کا گھر روشن ہوا

(و لكن اسعد معبد الأوثان مرة ثانية بعد زمان طائل - و استنار بيت آزر بنور ابراهيم من جديد)

پھر اٹھی آخر صدا توحید کی پنجاب سے
ہند کو اک مردِ کامل نے جگایا خواب سے

(و ارتفع نداء التوحيد من بنجاب مرة أخرى - و قام فتى فأيقظ الهند من سباتها)

و زعيم هندوكي بارز آخر تأثر به اقبال، هو "سوامي رام تيرته" الذي هو من معاصريه. لقد ولد سوامي رام تيرته في ٢٤/اكتوبر ١٨٧٣م بقرية مردا والى، من محافظة غوجرانواله (الآن في باكستان) و اجتاز امتحان الماجستير في الرياضيات في عام ١٨٩٥م و اشتغل لفترة غير طويلة ثم عاف دنياه و صار ناسكا

و هو شاب وفي ١٩٠٦م، يوم عيد ديوالي، عندما كان يستحم في نهر جنجا وافاه الأجل و ثلاثة و ثلاثون ربيعا هي كل عمره و انطلاقا من انطباعاته بهذا الحادث، قال عنه اقبال منظومه للجميل التالي:

ہم بغل دریا سے ہے اے قطرۂ بے تاب تو
پہلے گوہر تھا بنا اب گوہر نایاب تو

(اندمجت في البحر يا ايها القطرة الخطارة المضطربه كنت دره فاصبحت الآن درة يتيمة)

آہ کھولا کس ادا سے تو نے راز رنگ و بو
میں ابھی تک ہوں اسیر امتیاز رنگ و بو

(يا لهف نفسي! باي اسلوب جميل اكشفت سر اللون و الشذى و ها انا مازلت بعد اسيرا لتمييز اللون و الشذى)

مٹ کے غوغا زندگی کا شورش محشر بنا
یہ شرارہ بجھ کے آتش خانۂ آزر بنا

(انتهى ضجيج الحياة فاصبح انتفاضة النشور و خمدت الشرارة و لكنها اصبحت لهيب نار)

نفی ہستی ایک کرشمہ ہے دل آگاہ کا
لا کے دریا میں نہاں موتی ہے الا اللہ کا

(ان نفي الوجود من صنائع القلب العارف، و في بحر "لا" يكمن در الا الله)

چشم نابینا سے مخفی معنی انجام ہے
تھم گئی جس دم تڑپ سیماب سیم خام ہے

(إنه لمخفي على العين العميا حقيقة النهاية و إن الزئبق ما إن يهدأ التقلب و الاضطراب فيه حتى يصير لجينا خاما)

إطراؤه على الهند

أثنى إقبال على الهند في شعره كلما سنحت له الفرصة فمثلا ما يحلم بمستقبل باهر للمسلمين يقول

عطا مومن کو پھر درگاہ حق سے ہونے والا ہے
شکوہ ترکمانی ذہن ہندی نطق اعرابی

(فقد أوشك أن يعطى للمؤمن من عند الله وقار الأتراك و فكر الهنود و بيان العرب)

و كذلك إنه لم ينس الحسان الهنديات حتى عندما كان في أوروبا

میں نے اے اقبال یورپ میں اسے ڈھونڈا عبث
بات جو ہندوستاں کی ماہ سیماؤں میں تھی

(وعبثا بحثت يا إقبال - في أوروبا عما كان لحسان الهند من شأن خاص)

يقول و هو يوصي ابنه جاويد

اٹھا نہ شیشہ گران فرنگ کے احساں
سفال ہند سے مینا و جام پیدا کر

(لا تمتن بالخمار الانجليز بل من طين الهند صنع لنفسك الكؤوس و القوارير)

و يـقـول بـهـكـاس لخر (٣) اربع في العالم قلما وقع لحد في شرك سحرهم فـتـسـنى لـه الـتـخلص منه ـ و هم محي الدين ابن عربي (٣١)، و شنكرا تشاريه (٣٢)، و بيدل (٣٣)، و هيغيل

و في ٢٩ ـ ١٩٢٨م عـنـد مـا ألقى الأستاذ إقبال ست محاضرات في موضوع الـشكل الجديد للالهيات الإسلامية في حيدر اباد و مدراس و ميسور فلم يوضح فـيـهـا فـلـسـفـته فحسب و لكنه ايضا وضع الإسلام على محك العلوم العصرية الـحـديـثـة و يعتبر اقبال فصلين من كتاب المفكر الانجليزي المعروف بريدلية في نظـريـة عـرفـان الـنـفـس و الـمـعـنون بـ"المظهر و الواقع (Reality& Appearance) ابـتـشـداب الـمصر الحاضر من ناحية و تم تاليفهما في اثبات الأمر لن جيو لتما، (عـرفـان الـنـفس)، شيء غير واقعي أو ليس له وجود على الاطلاق

تعريب د/ فيضان باك نوري

مراجع:

(١) Thoughts and Reflections of Iqbal Syed Abdul vahid p.4-5

(٢) كـابل (Kapil) باسك عارف عاش في القديم المعصور كان مؤسس مدرسة سانكهياه (Sankhya) للفكر لا توجد الان اية مؤلفاته.

(٣) شـنـكـرا تـشـاريـه (Shankar Acharya) (٧٨٨ ٨٢م) من أكـبـر دعـاة الفيدا ويدانتا (Advaita Vedanta) و تاليفه الشهير تفسير كبرهما

(٤) و (٥) The Development of Metaphysic in Persia, p. 14-15

(٦) تطور الميتافيزيقيات في ايران ص ١٩ ٢٣

(٧) المصدوع في معرفة الحديث الموضوع: عبد الفتاح ابو غدة ص ١٦٣ (١٣٦٩م)

(٨) تطور الميتافيزيقيات في ايران ص ١٢٥

(٩) بدرايانا (Badrayana) يرجع عصره إلى ما بين ٢٠٠-٥٠٠ ما قبل الميلاد مؤلف برهما سوترا (Brahamasutra) و يسمى بـ Vedantasutra أو Shenarkastra كذلك) و هو أول تأليف في الفلسفة الويدانتية ألف تفسيره الشهير شنكر اشاريه. و يعتبر في الروايه أن بدرايانا و مؤلف مهابهارتا وياس (Veyas) شخص واحد.

(١٠) أسمه رامانج (Ramanuja) (١٠١١-١١٣٧) فلسفة ادويتا واده (Advaita vada) لشنكر اشاريه (Shankra Charva) و تأليفه الشهير هو شري بهاسيه (Shribhashya)

(١١) تطور الميتافيزيقيات في ايران ص ١٢٨

(١٢) نفس المرجع ص ٨٢

(١٣) حسب ويبر (Weber) عن ليسين (Lessen) ما يلي

في بداية القرن الواحد عشر نقل البيروني كتاب باتنجلي إلى العربية و على ما يبدو كتاب سانكهية سوترا كذلك و إن لا يتطابق ما عندنا من محتويات الكتابين من متونها السنسكريتية الأصلية. (هندوستاني ادب كى تاريخ ص ٢٣٩)

(١٤) تطور الميتافيزيقيات في ايران ص ٨٢

(١٥) Gabriel s Wing p 367

(١٦) كان مرشد الشيخ أبي يزيد في التصوف الشيخ أبو علي السندي صوفيا لم يكن يعرف العربية و كان أبو يزيد قد علمه من سور القرآن الكريم ما يلزم تلاوتها في الصلوة و قد عرف الشيخ أبايزيد بدوره بالوحدة السرية فليس من المستحيل أن أبايزيد قد تأثر عن طريقه بالأفكار الهندية. H.Ritter دائرة معارف إسلامية ج أول ص ٢٢٦ ٢٣٢

(١٧) تطور الميتافيزيقيات في ايران ص ٩٣

(١٨) المرجع السابق ص ٨٢/٨٣/٨٩

(١٩) يكتب (Geiger) عن انتشار البوذية فيقول

نعلم إن في العصور اللاحقة بعد الاسكندر كانت البوذية قد شاعت و قويت في شرقي ايران و كان
اتباعها منتشرين إلى طبرستان و خاصة من المتأكد انه كان يوجد في باختر كثير من النساك
البوذ و بلغ هذا الوقت الذي بدأ في القرن الأول لماقبل الميلاد إلى القرن السابع من الميلاد حيث
مع ظهور الإسلام انتشار البوذية في كابل و بلخار و الروايات الزردشتية بشكلها الذي اوصلها الينا
الدقيقي لابد أن نحددها بنفس العصر (ج ٢ ص ١٧)

(٢) انظروا الشعر التالي من ديوانه جاويد نامه

(في حلقومك الحان حلوة حنونه فإلى متى تبقى في الوحل تصوت مثل الضفدع)

(٢١) Gabreil's Wing Anna Marie Shimmel p 345

(٢٢) كان منصور الحلاج (٨٥٧ ٩٢٢م) صوفيا متفانيا في الله الذي هتف هتاف انا الحق فصلب

(٢٣) The Twenty eight Upenishads. Edited by Swami Dwarkadas shastri Pracya Paraku kashan Varanasi 1965 (p 336) (Hume's edition)

(٢٤) Brahadaranyaka Upanisha The Twenty eight Upanishads. p 214 (الفصل الرابع الباب الثالث السطر السادس)

(٢٥) بال جبريل ص ١١٥ ١١٢

(٢٦) Iqbal and religions other than Islam Tara Charan Rastogi

(٢٧) Multi Disciplinery Approach to Iqbal Asghar Ali Engineer

(٢٨) Verse No 67 The Epigrams Attributed to Bhartrhari Edited by D D Kosambi p. 10 Bhatiya Vidya Bhavan Bombay 1948

(٢٩) و يوجد منظوما رقم ٢٢٢٧ في كتاب Indische Spruche Otto Bohtling طبعة ثانية St Petersburg)

(٣٠) مرزا عبد القادر بيدل سيد لطيف شير ص ٧ ٨

(٣١) هو محي الدين ابن العربي (١١٦٥ ١٢٤٠ من الهجرة) من جلة الصوفية الكرام و عمالقة الفكر

الإسلامي ولد في الأندلس وله أكثر من مائة مؤلفة منها فصوص الحكم و الفتوحات المكية الذان يعتبران من أهم الكتب في الفلسفة و التصوف الإسلاميين. كان مؤمنا و مبلغا لفكرة وحدة الوجود

(٢٢) هو ميرزا عبد القادر بيدل (المتوفى ١٧٢٠م) شاعر هندي معروف في اللغة الفارسية، ولشعره الفلسفي أثر كبير في شعر غالب و في شعر إقبال كذلك إلى حد ما

(٢٣) و ذكر عنه إقبال أن النظام الفكري لهيجل شعر أسطوري في النثر

"Stray Thoughts of Iqbal" In S. A. Vahid's "Theoughts& Reflections of Iqbal"

❖❖

غاندي كما تصوره الصحف المصرية
مواقف ممتعة

بقلم د جلال السعيد الحفناوى

كلية الآداب جامعة القاهرة - مصر

تعد شخصية غاندي من الشخصيات الثرية و التي كان لها بليغ الأثر في تشكيل الشخصية الهندية بملامحها المميزة و الوصول بها إلى مصاف العالمية فلا تكاد تذكر الهند إلا و يذكر غاندي، فهو الزعيم و السياسي المحنك الذي زلزل بمغزله أركان الامبراطوريه البريطانية أقوى الامبراطوريات لذاك و هو القديس و الصوفي و رجل الدين و المصلح الاجتماعي لهذا صارت شخصيته مادة دسمة تناولتها الصحف في جميع أنحا العالم، و قد تناولت الصحف المصريه حياته و فلسفته و عاداته و تقاليده و كفاحه في تحرير الهند و صيامه و رصدت كل تحركاته و اشاراته و أقواله المأثورة و منذ اغتياله و حتى الآن لا تزال الصحف و المجلات في كل مكان تنشر أخبارا عنه و عن ذكراه العطرة

و في هذا البحث الصغير سوف أركز باختصار على مواقف ممتعة من حياة غاندي كما تصورها الصحف المصرية فلسنا بصدد عمل مسح شامل لما كتب عن غاندي لأن هذا الأمر يحتاج إلى فريق عمل متكامل يخرج بمجلدات ضخمة و ربما أكثر في هذا الموضوع في الصحف المصرية فحسب ناهيك عن أخبار غاندي في الصحف العربية و الأجنبية

و هذا البحث كما قلت مجرد محاولة متواضعة قد تؤدي إلى عمل موسوعي ضخم و حسبي أنني ذكرت بها و سوف أتتبع أخبار غاندي تاريخيا منذ ميلاده و حتى اغتياله و قد استمتعت بها

١ - جاء في جريدة الاهرام تحت عنوان المقاومة السلبية بتاريخ يناير ١٩٤٥م ما يلي

يعد غاندي نبي سياسة المقاومة السلبية التي تقوم على عدم العنف و يسمى (ساتياجراها) و هي ضد القوة و العنف اللذين يسودان العالم و كان غاندي يقول عن هذه المقاومة السلبية أنها ليست سلاحا في يد الأفراد فحسب بل اداة يستطاع بها تسوية العلاقات الدولية و كان الصوم أهم مظهر من مظاهر تلك المقاومة السلبيه و قد كتب شاعر الهند الأكبر رابندرانات طاغور يصف هذه الطريقة بقوله (عندما أتى المهاتما غاندي و فتح طريق الحرية أمام الهند لم تكن في حوله قوة ما و لا وسيلة من وسائل الاجبار و لذلك كان التأثير الذي صدر عنه وليد نفسه الجبارة فكان أقرب إلى تأثير الموسيقى الخالدة و الجمال الأبدي و كان نفاذها الى أعماق النفوس الأخرى سريعا و حاسما لأنه كان منبعثا من عبقرية ذلك النبي الخالق) و كتب دون كامبل المراسل الخاص لرويتر (إن للمهاتما غاندي ذلك الهندوكي العجوز الحكيم الذي كان يكتفي بمئزر حول وسطه كان اعظم قوة اساسية في اسيا و كان صيامه يبعث الذعر في ملايين الهنود اكثر مما يبعثه وابل من القنابل الذرية. و لا عجب فقد وضع صيامه حدا للاضطرابات و القلاقل و استحالت بفضله انغام الحقد إلى أهازيج الحب و أمكن تفادي الأزمات و الكوارث)

٢ - و تحت عنوان جهاد غاندي ذكرت جريدة أخبار اليوم بتاريخ ٧ فبراير ١٩٤٦م ما يلي

كان لغاندي مبدأ في الحياة يؤمن به و كانت له طريقة خاصة في الكفاح يبشر بها و ينشرها بين اتباعه و مريديه و لم يحد عنها اطلاقا مدى حياته و هذه الطريقة تتلخص في المقاومة السلبية و العصيان المدني و كان لمضى سلاح سياسي يستخدمه غاندي بصفة شخصية هو الصيام فكان يستخدمه للقضا على المصادمات التي تقع بين الهندوس و المسلمين

عاد غاندي في سنة ١٩١٤م إلى الهند و هناك اصبح قائدا للوطنيين و بعد مضي عشر سنوات اصبح زعيما لحزب المؤتمر الوطني الهندي وابتدع العصيان المدني كسلاح سياسي، و بعد ان حضر مؤتمر المائدة المستديرة في لندن سنة ١٩٣١م القى القبض عليه و اودع السجن فاعلن صيامه الاول حتى الموت

٣ـ و تقول مجلة الثقافة في عددها الصادر بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٤٧م

"من المعروف عن صيام غاندي انه حينما ادرك ان السلاح الذي في يد خصومه هو العنف و القوة و البطش قابل ذلك بالعفو و التسامح و لم تطل اقامة غاندي في جنوب افريقيا فعاد إلى وطنه و وضع برنامجا شاملا للاصلاح الاجتماعي الذي اخذ على نفسه قيادة حركته و كانت اهم الادوا الاجتماعية انتشار الخمر بين الهنود و تفشى الزنا و زواج الأطفال و الفقر و الشقاق الديني و نظام المنبوذين و لم يكن يكتفي غاندي في محاربة هذه الرذائل بالمقالات و الخطب و الاحاديث لانه كان لا يؤمن في التعليم إلاّ بالقدوة و بالمران ففي معالجة الفقر مثلا دعا إلى المغزل" و طالب اتباعه بان يجعلوا شعارهم في الحياة "المغزل ـ المغزل" و اتخذ هو لنفسه مغزلا لم يفارق يده و في محاربة الخمر كان من وسائله ان يدعو انصاره إلى الحانات فيملأون ارجاءها و يستقرون في مقاعدها لا يريمون حتى اذا اقبل الشاربون لا يجدون مكاناً يجلسون فيه فينصرفون

أما تمشي للزنا فكان من أهم أسبابه نظام زواج الأطفال، إذ يزف الفتى و هو دون العاشرة إلى صبيه لم تبلغ مثل سنه فإذا حدث أن مات عنها بعد عام أو عامين ترملت و قضى عليها أن تعيش بقية حياتها و هي أرملة، فإن التقاليد في الهند تقضي بأن الزوجة التي يموت عنها زوجها لا يجوز لها أن تتخذ من بعده بعلا غيره و هكذا يمتلئ المجتمع بالملايين من هؤلاء الأرامل اللاتي لا يعرفن الطريق إلى الرجل إلا عن طريق الزنا و لذلك جعل غاندي دعوته إلى أنصاره من الشبان الا يتزوجوا الا من هؤلاء الفتيات الأرامل

٤ـ و في خبر عن حياة غاندي و عاداته تقول صحيفة الأهرام في عددها الصادر بتاريخ ٣١ يناير ١٩٤٨م:

ولد غاندي في ٢ أكتوبر ١٨٦٩م و اسمه الكامل موهانداس كرم شاند غاندي و تطلق عليه اسم المهاتما و معناها الروح الكبير و كان غاندي لب الحركة الوطنية في الهند و له إلى جانب مبادئه السياسية فلسفة خاصة قوامها التصوف و كان محبوبا من ملايين الهنود سواء منهم الهندوكيين أو المسلمين.

و لعل أبلغ ما وصف به هو ذلك القول الذي ورد على لسان صديقه جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند في الوقت الحاضر إذ قال في ١٥ اغسطس ١٩٤٧م يوم استقلال الهند: في هذا اليوم تتجه أذهاننا أول ما تتجه إلى بادئ الحرية و ابن وطننا الذي رفع عاليا مشعل الحرية ليبدد الظلام الذي يغمرنا و ستقدر الأجيال القادمة كما نقدر نحن ابن الهند و سنحتفظ بذكراه عزيزة في قلوبنا، إنه رائع في إخلاصه رائع في قوته رائع في شجاعته رائع في تواضعه

كان غاندي يستيقظ عند الفجر في كل يوم و يذهب لينام حوالي العاشرة مساء و يتكون غذاؤه من مواد قليلة قلما تحول عنها فكان يعيش على عصير

البرتقال و الفواكه و الخضر و على لبن الماعز و كان لا ياكل السمك و اللحوم و الطيور و يصوم عن الكلام في كل يوم اثنين من الاسبوع و إن كان هذا الصيام لا يمنعه عن استقبال زواره و كان يخاطبهم بالاشارة

٥ ـ لقد كان صيام غاندي من الموضوعات التي لسهب الصحف المصرية في وصفها و تتبعها بشكل يومي فقد جا في الاهرام بتاريخ ١٤ يناير ١٩٤٨م هذا الخبر

بدأ اليوم المهاتما غاندي الزعيم الروحي للملايين من سكان سبه القارة الهندية صيامه الخامس عشر لأجل غير مسمى بالصلاه من اجل وحدة المسلمين و الهندوس في دولتي الهنود الكبيرتين الباكستان و الهند و قد بدا المهاتما غاندي صيامه في حضور عدد كبير من المسلمين و الهندوس و السيخ و قد تابع برنامجه اليومي ـ و كانت الوجبه الأخيرة التي تناولها غاندي تتألف من لبن الماعز و الخضروات المسلوقة و عصير الفواكه ـ و اجتمع به السردار بتل نائب رئيس الوزرا

و في عدد الاهرام الصادر بتاريخ ١٨ يناير ١٩٤٨م و تحت عنوان غاندي على فراش الموت الشروط السبعة للعدول عن صيامه جا ما يلي

كان اليوم خامس أيام صيام غاندي من أجل السلام بين الهندوس و المسلمين و قال أطباؤه انه على الرغم من تزايد ضعفه فانه ما زال يحتفظ بمرحه و معنويته الجيدة و بعمل البشرة الطبيعية

إن المهاتما الذي هو بغاية الضعف يسعر بثقل في رأسه و تنتابه الآلام في الكليتين و إن واجبنا يقضي بأن نطلب من جميع الهيئات أن تعمل وسعها لكي تصل إلى انهاء هذا الصيام الذي أصبح في غاية الخطر

و قد أعلن مولانا أبو الكلام أزاد وزير المعارف في حكومة الهند ببيان في حشد من المصلين المسلمين من أجل السلام قال فيه إن غاندي يشترط سبعة شروط لكي يقلع عن صومه الذي لا نهاية له، أن تعود مساجد المسلمين في دلهي البالغ عددها ١١٧ جامعا ـ و استخدمها الهنود كمعابد لهم ـ إلى مساجد دون أن تتدخل الحكومة في هذا الامر و أن يسمح للمسلمين بأن يسافروا في القطارات دون أن يتعرضوا لخطر على حياتهم و ممتلكاتهم و أن لا يقاطع المسلمون اقتصاديا و صرح أزاد للحشد المجتمع بأن غاندي في حالة خطرة و أن الأطباء لا يتصورون حياته صائما أكثر من ٣٦ ساعه و عاد الايرل مونتباتن حاكم عام الهند من ولاية بيكانير و قد جلس اليوم مع الكونتيسة مونتباتن بجانب السرير الذي يرقد فيه غاندي الذي قال الواقع أنني على فراش الموت

و قد تحدث غاندي إلى الزعماء الذين اجتمعوا حول فراشه بصوت ضعيف و لكنه واضح لصحفه السديد من اذاعة حديث بالراديو و قال الاطباء إن وفاة غاندي كانت أمرا مؤكدا لو أنه استمر في صيامه هذا و مما يذكر أن غاندي صام حتى الآن ١٥ مرة في ٣٥ سنه

و تجدر بالذكر أن الهند انقسمت خلال صيام غاندي الاخير إلى جماعات مناصره و أخرى تناصبه العدا و قد انتشر نبأ عدول غاندي عن صيامه بسرعه في دلهي الجديدة و كان من اثر ذلك أن قامت جماعات صغيره بمظاهرات سلمية في الشوارع و كانوا يصيحون "لقد مني أعداء السلام بالهزيمة و كتب النصر لتحيل السلم و انتهى الصيام

و تقول جريدة أخبار اليوم في ١٩ يناير ١٩٤٨م تحت عنوان غاندي يكف عن الصوم بعد موافقه زعماء الهندستان على شروطه

عدل المهاتما غاندي اليوم عن المضي في الصيام بعد أن ظل ممتنعا عن تناول الطعام خمسة أيام بالرغم من بلوغه سن التاسعة و السبعين و لم يتخذ قراره هذا الا عندما وعده الزعماء الهندوكيون و السيخ و المسلمون في الهندستان تنفيذ برنامجه السلمي للهندوستان و الباكستان و كانت غرفة غاندي الصغيرة في قصر بيرلا هاوس غاصة بالزوار و الاطباء و مراسلي وكالات الانباء و مندوبي الصحف و الاصدقاء عندما شرب كوبا من عصير الليمون المحلي بالسكر لانهاء صيامه الذي استغرق ١٢١ ساعة

و كان مندوبو الهندوكيين و السيخ و المسلمين و من بينهم جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهندستان قد اجتمعوا صباح اليوم بعد أن اعلن الدكتور روى طبيب غاندي ان زعيم الهند الروحي الذي اشتد به الضعف لن يعيش الا بضع ساعات أخرى ان هو استمر في الصيام و لم يلبث المجتمعون ان وافقوا على الشروط التي اشترطها غاندي لانهاء صيامه كما اتفقوا على وضع حد للنزاع الدائر بين الهندستان و الباكستان و قد وعدوه بتنفيذ برنامجه. و اتسعت ابتسامة ضعيفة على شفتيه و استعان بالدكتور شوسيلا نايار أحد أطبائه على الجلوس في فراشه ثم شرب عصير الليمون الذي قدمه اليه مولانا ابو الكلام ازاد وزير المعارف المسلم في حكومة الهندستان

في ١٩ يناير ١٩٤٨م جاء في صحيفة المصري تحت عنوان غاندي ينهي صومه بشراب عصير البرتقال بعد التزام الهند باحترام حقوق المسلمين

"انهى المهاتما غاندي اليوم صومه الذي بدأه يوم الثلاثاء الماضي و دام خمسة أيام و ساعة و أربعين دقيقة و ذلك بأن ارتشف قليلا من عصير البرتقال في كوب قدمه له مولانا ابو الكلام ازاد وزير المعارف في الهند و صرح غاندي في

خطاب بالميكرفون وجهه من سريره إلى جمهور كبير ازدحم في حديقة داره فقال إنني اريد يد الحالق في معجزة الوحدة بين الهندوس و المسلمين و قد أضاف غاندي أيضا أن هذه الوحدة ستخدم جميع العالم و أن على فريق من المسلمين أن يتخلوا عن ضيق افقهم و يمزقوا الكتب الدينية من هندوكية و سيخية وغيرها أينما وجدت

و تحدث الأستاذ حسن جلال بالتفصيل عن صيام غاندي تحت عنوان غاندي و صيامه في مجلة الثقافة العدد (٤٥٧) فيقول "لما أدرك غاندي بحكم عجزه عن المقاومة العنيفة أن السلبية هي سلاحه الوحيد الذي يستطيع به أن يحارب في سبيل تحقيق أماني قومه انشأ في جنوب افريقيا مؤسستين لتربية أتباعه و انصاره على اعدادهم ليكونوا جنودا عاملين في جيش هذه المقاومة السلبية و كانت وسيلة في تربية جنوده هي تقوية نفوسهم و تعويدهم على الصبر و الحرمان و احتمال الألم لأن كل مهمتهم فيما بعد ستنحصر في تحمل العذاب الذي قد ينزله بهم القوة الغاشمة في سبيل اخضاعهم و حملهم على ما تريد، و من أجل ذلك بدأ غاندي بنفسه فاعتزل المحاماة و نذر نفسه للفقر و العري و العذاب و اتخذ من الصيام عدة له و منهاجا فجعل يصوم كلما شعر بأنه اخطأ في حق نفسه أو في حق غيره ليكفر عن خطيئاتهم بصيامه ثم جعل يصوم أخيرا ليحتج على ما تفعله به و برجاله قوى الشر

و قد أنشأ غاندي في جنوب افريقيا مؤسستين كانت احداهما على مقربة من مدينة فونيكس و لذلك سميت مزرعة فونيكس و قد انشأ فيها غاندي مدرسة ودارا للعلاج و الاستشفاء و الأخرى على مقربة من جوهانسبرج و سماها غاندي مزرعة تولستوي اعترافا منه بفضل هذا الفيلسوف عليه و على تكوين عقليته و كانت فيها هي الأخرى مدرسة كان يقوم بها غاندي نفسه بتعليم تلاميذها بالاشتراك مع صديقه الألماني "كالنباخ

٦ ـ كما كان خبر اغتيال غاندي قد لاقى تغطية صحفيه واسعة من جانب الصحف المصريه و نذكر هنا ما جاء في الاهرام بتاريخ ١١/ يناير ١٩٤٨م لانه اكثر تشويقا و تفصيلا فقد جا الخبر في الصفحة الأولى تحت عنوان تشييع جنازه المهاتما غاندي لمس احراق جثته عند النهر المقدس نحله سفاداس يسمل النار و يصلي

في الساعة الرابعه و الدقيقه الخامسة و الاربعين من مسا امس (بالتوقيت المحلي) لمى المهاتما غاندي رسول السلام و المحبه في العرن العشرين و زعيم الهند الروحي حتفه فقد اطلقت عليه و هو في طريقه الى ساحة الصلاة في بيرلا اربع رصاصات اصابته في صدره فسقط على الأرض مضرجا بدمائه و نقل جثمانه إلى داره على اكتاف تلامذه و حوارييه

ولـقب مهاتما الذي اعطاه الشعب الهندي على زعيمه الروحي و ابي وطنه موهنداس كرم تشاند غاندي ينطوي في لعظه ولحدة على السبب الدي حمل من هذا الرجل الذي اشتهر بالخجل و التهيب و الحيا اقوى شخصيه في بلاده مدة تربو على ثلاثة اجيال اما معنى هذا اللقب فالروح العظيم و قد نعى المديح في راديو عموم الهند نقوله يؤسفنا اشد الأسف ان ننعى اليكم المهاتما غاندي

اما قاتل غاندي فهو رجل هندوكي متطرف في السادسة و الثلاثين من عمره يدعى ناثورام فيناياك جودسي و قد افضى في اثنا التحقيق معه بتصريح قال فيه "إنه لا يقر السياسة التي يدعو إليها غاندي و يتبعها البنديت جواهر لال نهرو"

و ما ان وقع هذا الحادث المؤلم حتى اخطر به تليفونيا جواهر لال نهرو رئيس الوزرا و الوزرا جميعا و كذلك اللورد مونتباتن الحاكم العام و قد تحدث

نهرو الى الشعب في الاذاعه فقال إني عاجز عن التحدث إليكم ذلك أن أبا الوطن قد طواه الموت و اسهى

ثم قال يتعين علينا بعد هذه الكارثة الفادحة التي حلت بنا أن نتحد و نحيي خلافاتنا و نكرس انفسنا للحق و للعرض الذي عاش من اجله و مات من اجله مواطننا العظيم

و قد احتجت دوائر الباكستان عندما اذيع هذا النبأ المؤلم على ابدا اسفها و الأعراب عن عميق المها فقد قال السيد محمد علي جناح رئيس حكومة باكستان صعقني نبأ هذا الاعتداء الوحشي الذي تعرض له المهاتما غاندي فأدى الى موته و قال السيد محمد يوسف زعيم الحرب الاشتراكي الباكستاني إن ملايين المسلمين في الهند قد فقدوا الرجل الذي كان يحميهم و قد كان غاندي أوفى صديق للباكستان و قال السيد ناظم الدين رئيس وزرا باكستان الشرقية اثر وصوله بالطائرة من دكا إلى كراتشي إن التاريخ سيسجل هذا الاغتيال كجريمه من افظع الجرائم الانسانية

و قد احتشد اليوم مئات الالاف من الهندوكيين و المسلمين و البوذيين و السيخ و المسيحيين عند راج غات على ضفتي نهر جومنا" المقدس حيث احرقت جثة غاندي و كانت امارات الحزن البالغ و الألم العميق تبدو على وجوههم جميعا

و قد وضعت الجثة على كومة من خشب الصندل في منتصف الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم بينما كانت اسراب من طائرات السلاح الجوي الهندي تحلق فوق المكان و تمطر الجثة بالزهور و الرياحين و تقدم نهرو إلى الجثة قبل اشعال النار فيها و ركع على ركبتيه و لثم قدمي غاندي و كان

غاندي كما تصوره الصحف المصرية مواقف محمد

ديفاداس نجل غاندي واقفا على مقربة من النعش عندما اشتعلت النار في أعواد الصندل و ما ان تصاعدت ألسنة اللهب حتى أخذ يغذي النار كل بضعة دقائق بعود من الخشب و بعد قليل وضعت على النار عدة أرطال من البخور و زيت الكافور و جوز الهند و ما هي الا دقائق حتى تصاعد عمود من الدخان حجب الجثة التي بدأت النار تخفيها عن الأنظار ثم أدار ديفاداس وجهه شطر الشمس و كانت قد بدأت تميل الى الغروب و طفق يرتل صلوات من الفيدا و كانت الجماهير التي برح بها الألم و الأسى تصيح في غضون تلك قائلة غاندي غاندي و قد احترقت الجثة بعد عشرين دقيقة و انتهت الجنازة في الساعة الخامسة و النصف

و قد تحرك موكب الجنازة بعد أن حملت كريمة غاندي الكبرى جثمان أبيها الى عربة مغطاة بالأزاهير بعد أن لفت جسده بقماش من الغزل الهندي و كشف وجهه

و ما ان تحرك الموكب حتى هتف الناس النصر لغاندي و كانت باقات الورود و الزهور تتساقط على الموكب طوال الطريق و تملأ الجو عطرا و عبيرا هذا و قد وصف المذيع في راديو عموم الهند الجنازة بقوله "لقد غص المكان الذي احترقت به جثة الراحل العظيم بجماهير من البشر صمم كل منهم على أن يلقي نظرة أخيرة على زعيم الهند الروحي.

و كانت أعلام جميع الدول في دلهي الجديدة منكسة حدادا على الراحل العظيم و قد اشترك في موكب الجنازة جنود من السيخ و الراجبوتانا و المراثا و فصائل من حرس الحاكم العام و وحدات من السلاح الجوي و الأسطول الهندي و كان في مقدمة المشيعين جميع رجال السلك السياسي و كان اللورد مونتباتن

قد وضع على ذراعه شارة حداد سودا يسير مع كريمانه بين جموع الشعب و كبار الزعما من امثال جواهر لال نهرو و سردار باتل نائب رئيس الوزراء و سردار بالاديف سنجيح وزير الدفاع السيخي و غيرهم من الوزرا و كبار رجال الحكومة و قد تنبا كبار رجال الحكومه البريطانية بان اغتيال غاندي سيؤدي الى اراقه الدما في الهند و الباكستان على نحو لم تعرفه هاتان الدولتان من قبل و قال مصدر بريطاني كبير على اتصال وثيق بدولتي الهندستان و الباكستان إن مصرع غاندي قد يذهب بكل ما حصلت عليه الهند من خير

و قد نشبت اضطرابات دامية في بومباي أمس بعد اذاعة نبا اغتيال المهاتما غاندي نضع بدقائق و أذيع نبا اغتياله في بومباي بعد وقوعه بخمس عشرة دقيقة فتجمعت الجماهير في جميع أنحا المدينة و اندفع رجال البوليس و الجيش إلى المناطق المضطربة و الجماهير الثائرة تهاجم دور الجمعيات المتطرفه و اذيع أن البوليس ألقى القبض على غيرهم

و دعيت قوات الجيش و البوليس إلى بومباى و بونا على اثر اعتدا الجماهير على دور و متاجر اعضاء جمعية (ماهسبها) و هي الجمعية الهندوسية المتطرفه التي كان ينتمي اليها في وقت ما (ناثو رام فاياك جودسى) المتهم باغتيال غاندي و هاجمت الجماهير المكتب المركزي لجبهة اتحاد الهند (التي تناوى فكرة الباكستان و هي هيئة هندوسية) و اخرجت اثاث المكتب إلى الطريق و اشعلت فيه النيران و انتقلت قوات الجوركا اخيرا إلى منطقة جيرجوام لتعاون البوليس في القا القبض على الذين يخرجون من دورهم مخالفين الاوامر بمنع التجول

و قام البوليس المخصوص بتفتيش مختلف مكاتب الهيئة العسكرية الهندوسية في بومباي الكبرى و اعتقل زعماء الهيئة و في بونا اعتقل البوليس

ستة اشخاص لهم لتصال بنشاط (المهاسبها) و قام البوليس بتمبيس منزل جودسي كان كل منهم يبتغي الخير و الحرية و السلطان لسعبه و لكن ما لبعد ما افترقت بينهم و بين غاندي المثل و الوسائل رفض ماديه الغرب و التزم روحانية الشرق لمن و بشر بتعاليم اهمسا التي تدعو إلى اجتناب العنف

لحاطت به جماعة من شباب الشيوعيين في كراتشي سنة ١٩٣١م و حاولوا ان يوقعوا به الأذى فقال لهم في ايمان و ابتسام تتهمونني إنني خنت الهند لن اشكو اذا اعتديتم علي ليس من حولي حراس فالله وحده هو الذي يرعاني بعض الناس يحسبونني مشعوذا محبوبا لأنني احب أعدائي و لكن هذا هو دين و إيماني ليس لي من سلاح أشهره في وجوهكم غير الحب

كان الحب سر عظمة غاندي، حب الله و حب الكون الذي ابتدعه و حب كل الكائنات لم يمارس العنف في حياته قط و لم يظله الشك و لا الحقد و لا الشهوات انظر إلى تصويره البارع للوطنية إنني اذ لخدم الهند لا لبتغي اذا ابة لمة أخرى

كان غاندي مؤمنا بالبشرية جمعاء، كان يؤمن إن الله الذي منحه الحياه لم يستودعه اياها فحسب بل استودعه إن يصون كل حياة، ان يكون في الأرض عامل سلام و محبة و اخا فلما واجه الظلم لم يرفع سيفا و لكن ألمس عصا من اغصان السلام فوقف الظالمون مبهوتين لحسوا ان هذا الرجل الهزيل الضئيل قهر بقلبه الرقيق جبروتهم لحسوا انهم ينظرون إليه و قد ضلوا سوا السبيل فهو لا يلعنهم و لكن يصلي من لجلهم تسامت به العظمة إلى اعلى عليين فحملهم كالمذنبين في الهيكل او كالتائبين عند قدمي الآلهة

لقد ذهب هتلر ضحية للنار التي اوقدها اما موسوليني فمتله شعبه و ترك كل منهما امته جاثية عند اقدام المنتصرين اما غاندي فقد ترك أمته و قد

بلغ في مراتب الحرية و الكرامة درجات و تروج اسمها باسمه و ترك للعالم ثروة روحيه كتب لها الخلود مما لجدرنا ان نحني هاماتنا جميعا امام جثمان هذا الهيكل البشري الضعيف الذي هز ايمانه قوائم امبراطورية و اهوى إليه في مغزله قلوب الملايين من مختلف الأجناس و الأديان

٨ - و تحت عنوان الحب هو الاقوى كتب الأستاذ سعيد سنبل يوميات الأخبار في صحيفة الأخبار بتاريخ ١٧ يونية ١٩٦٣م نذكر منها هنا مجموعة من أقوال غاندي"

- إن وسائل السعي ورا الحقيقة بسيطة بقدر ما هي معقدة فهي تبدو مستحيلة في نظر المتعالين ميسرة بالنسبة للطفل الصغير ذلك لأن على الباحث عن الحقيقه أن يكون أكثر تواضعا من تراب الأرض

- ليهلك ذات مثلي و لنبق الحقيقة و نعلو و لنربأ بأنفسنا عن ان ننزل و لو قيد شعرة عن مستوى الحق حينما نحكم على البشر الذين يجور عليهم الخطا و الذين هم إلى فناء

- إن البعد عن استخدام العنف هو البند الأول من دستور عقيدتي و لقد صادفني في حياتي العامة مناسبات عديدة كنت أستطيع أن اظهر فيها لنفسي بالثار و لكنني آثرت ألا افعل ذلك و نصحت أصدقائي أن يحذوا حذوى ذلك لأنني كرست حياتي للدعوة إلى عقيدة البعد عن استخدام العنف فلقد درست هذه العقيدة في تعاليم الاساطين الذين قاموا يعلمون هذا العالم من أمثال زرادشت و مهافير و المسيح و محمد و نانك و كثير غيرهم

- إن عدم العنف الذي أنادي به لا يبيح لنا ان نولي فرارا امام الخطر تاركين من يعرون علينا بغير حماية فلو انني خيرت بين استخدام العنف و بين

فرار الجبناء لاخترت العنف و إني لست بمستطيع أن أدعو الجبان الى البعد عن استخدام العنف اكثر من أدعو الأعمى إلى الاستمتاع بالمناظر الجميلة فان تنزيه النفس عن استخدام العنف هو أعلى مراتب الشجاعة

- أن إيماني بالهندوكية لا يتسم بصبغة الطائفية و إنما يشمل خير ما اختطت به من فضائل الاسلام و المسيحية و البوذية و المجوسية أن الحق هو عقيدتي و البعد عن العنف وسيلتي و لقد كفرت بشريعة السيف إلى غير رجعة ابني لكي للمسلمين من الحب ما أكنه للهندوس

- إنه لكذب و افتراء على الله أن نقول إنه عز وجل قد عزل فريقا من خلقه و نصفهم بأنهم منبوذون

- إن المرأة في رايي هي التضحية مجسمه ولكنها مع الأسف لا تدرك ما لها من مميزات هائلة على الرجل

١ - و تحت عنوان في كلمتين كتب الأستاذ موسى صبرى في جريدة الأخبار بتاريخ ١٧ اكتوبر ١٩٦٥م ما يلي

"كان أكل اللحم في نظر أفراد أسرته سيئا سيئا ممقوتا تنهي عنه تعاليم الديانة الهندوكية و تعاليمها و لكن صديقا له كان يغريه على الهجوم خلسة على قطع من لحم الماعز كان صديقه يؤكد له ان متاعب الهند و مشكلاتها مستحيلة لذا اقبل الهندوس على اكل اللحم و كان يثير حوافزه ببعض ابيات من الشعر تقول

انظر إلى الانجليزي الجبار الذي يحكم الهندي القمي فلانه أكل لحم، كان طوله خمس أذرع و لذلك قرر الفتى غاندي و كان في الرابعة عشرة من عمره أن

ياكل لحم الماعز من وراء أسرته و ثار عليه ضميره و بدأت نفسه تشمئز و لاحقته الاحلام المزعجة فقرر أن يعترف بخطاياه و أمسك بورقه و قلم و سجل اعترافا كاملا بكل ذنوبه و قدمه إلى والديه و أقسم إلا يعود إلى السرقة و أصبح هذا الشاب النحيل زعيما يهز الامبراطوريات بكلمه الصدق و دعوة الحق نابعه من نفس صافية طاهرة

١١ ـ و قد تناولت الصحف المصرية جميع جوانب حياة غاندي و فلسفته و قلما نجد صحيفه مصرية لم تذكر بعضا من فلسفته او أقوالا ماثورة عنه و فيما يلي جانب من هذه الأقوال الماثورة

- حارب عدوك بالسلاح الذي يخشاه لا بالسلاح الذي تخشاه أنت (الاهرام ١١ نوفمبر ١٩٧٤م)

- ليس في حياة الافراد و لا في حياة الشعوب خطا لا يمكن اصلاحه فالرجوع إلى الصواب يمحو جميع الأخطا (الاهرام ٤ ديسمبر ١٩٧٤م)

- الوطنيه و الانسانية واحد في نظري انا وطني لأني إنسان (الاهرام ١ ديسمبر ١٩٧٤م)

- الحب أكبر قوة في العالم و مع ذلك فهو أكثرها تواضعا (الاهرام ٣ ديسمبر ١٩٧٤م)

إنني لست إلا طامحا ضعيفا دائم الاخفاق دائم السعي (الاهرام ١٥ يناير ١٩٧٥م)

- إن الجنس البشري واحد لأن جميع افراده يخضعون لقانون الاخلاق (الاهرام ١٩ يناير ١٩٧٥م)

- إن عدم العنف في رأيي هو أكبر قوة ايجابية في الدنيا (الاهرام ٢ يناير ١٩٧٥م)

- إننا نستطيع أن نمهر العالم أجمع عن طريق الحب و الحق (الاهرام ٨ مارس ١٩٧٥م)

- أول حكمة أن نعرف الحق و آخر الحكمه الا نعرف الخوف (الاهرام ٣ اكتوبر ١٩٧٦م)

- ما دامت روح الحب تهديني إلى غايتي فسوف يجري كل شيء على ما يرام (الاهرام ١٣ ديسمبر ١٩٧٦م)

وجاءت هذه الأقوال المأثورة عن غاندي في الاهرام المسائي بتاريخ ١٢ نوفمبر ١٩٩٣م قال غاندي اياكم و هذه الخطايا

١ـ السياسة بلا مبادئ

٢ ـ الثروة بلا عمل

٣ ـ السرور في غيبة الضمير

٤ ـ المعرفة بلا اخلاق

٥ ـ التجارة بدون أداب المهنة

٦ ـ العلم بلا إنسانية

٧ ـ العبادة بغير تضحية

ثم قال

ـ لا تصدق من يمدح كل الناس و لا تسمع لنصيحة من لا يعمل بها

ـ صديقك من صدقك عند المحنه و فرح لسرورك عند امرلحها

ـ المرأة التي لا تعرف الغيرة ربما تولد غدا

ـ ما افقر اولئك الذين لا يملكون اي قدر من الصبر

ـ لا يطفئ مصباح العقل غير عواطف النفس

١٢ ـ و بمناسبة العيد المئوي لميلاد غاندي جاء في الاهرام تحت عنوان ملامح صغيرة بتاريخ ٤ اكتوبر ١٩٦٨م ما يلي:

طريق الشوك و العذاب الذي مشى عليه غاندي زعيما للهند مناديا بالصمت ضمير الانسانية في كل مكان لتحرير وطنه من عبوديه مستعمر جا

يـعـرق بين الـبـشـر لـونا و جنسا و وضعا اجتماعيا صارخا فمضى على ما كان و بشر بـمـا هـو قـادم يـحـلـم بـه يـحـت أفق الحب و السلام الهب كتاب العالم الـمتحضر و على راسهم في عالمنا العربي لحمد شوقي الذي كتب قصيدته التي غـنـتـهـا سـيـدة الـغـنـا أم كـلـثـوم لنا الحمل الذي اقامته مصر مشاركة في الاحـتـفـالات الـعـالمية بنهاية قرن و ميلاد قرن على ميلاده و لعل نفس المناسبة هـي الـتـي الـهـبـت الـشـاعـر عمر غسل ليؤلف قصيدة من ١٤ بيتا اسماها إلى الانسان الحائر و مطلعها

ايها الحائـــــــر في درب الحـياة	ايها الثائر من ظلم الطغـــــاة
أيها الغارق فـــــي بحر الظنون	ما الذي يبيك عن طوق النجـاة
ذاك (غاندي) لم يزل في أرضـــا	كوكبا للنور فامسى في هـــــداه
انه الحب الذي من ســــــــــره	عاش شعب الهند مرفوع الجباه

و عن الـعيد المئوي لميلاد غاندي كتب الأخبار بتاريخ ٨ اكتوبر ١٩٦٨م هذا الخبر

حـضـر ٨ مـدعـو لولـى احتفالات القاهرة التي ستستمر على مدى سنة بـمـرور مائة عام على مولد غاندي و الذي أقيم في قاعة الف ليله و ليلة في فندق هيلتون القاهرة بدعوة من محمود يوسن رئيس جمعية الصداقة العربية الهندية و كـان بـين الـحـاضـرين أم كلثوم و الشيخ المدني مندوب الهند في مؤتمر علما الـمسلمين و د. كلوفيس مقصود مندوب الجامعة العربية السابق في الهند و كان من الـمـتـحـدثـين في الحمل وزير الثقافة د. ثروت عكاشه و قد تحدث عن كفاح غاندي و عبد الخالق حسونه أمين الجامعة العربية تحدث عنه كداعية سلام كما

لنيح في الحمل بصوت لم كلثوم تسجيل لها لقصيدة أمير الشعرا لحمد شوقي عن غاندي التي تقول

بني مصر ارفعوا الغـــــارا	و حيوا بطل الهـــــــد
و أدوا ولحدا و اقصــــــوا	حقوق العلـــــــم الفرد
سي مثل كونفوشـــيــــو	س أو من ذلك المهــــــد
قريب القول و الفعـــــــل	من المنتظر المهـــــدي
شبيـــــه الرســـــل بالذود	عن الحق، و في الزهـــــد
لقد علم بالحـــــــــق	و بالصبر و بالقصـــــــد
و حا الانفس المرضـــــــى	فداواها من الحمـــــــد
دعا الهندوس و الاســـــلام	للالفـــــــة و الـــــــود
بسحر من قــــــــوى الروح	حوى السيفين في غمــــد

و في ١٥ نوفمبر ١٩٦٨م جا في جريدة الاهرام تنويه عن كتاب غاندي في سبيل الحق او قصة حياتي على هذا النحو

الكتاب بعلم الزعيم الهندي المهاتما غاندي الذي يحتفل العالم على مدى ليام هذه السنة بمرور مائة سنه على مولده و يروي فيه تاريخ حياته في ٧٢ فصلا متحدثا عن زواجه و هو في الثالثة عشرة من عمره و دراسته للحقوق في انجلترا و جهاده في جنوب افريقيا عندما راح إليها ليعمل محاميا و لولى تجاربه مع التمييز العنصري ثم الكفاح لتحرير الهند بغير عنف و في خلال

فـصـول الـكـتـاب (٣٦٤ صـفحة) يشد غاندي للقارئ معه في كل تفاصيل حياته ومـقـابـلاتـه وكـفـاحـه الـكـتـاب ترجمه محمد سامي عاشور و أصدرته مكتبة الثقافة الشعبية بدار المعارف

❖❖

العلوم و التكنولوجيا في الهند
من القرن العاشر إلى الثامن عشر

بقلم د. ايه رحمان

قد شهد القرنان - التاسع و العاشر ازدهارا كاملا للنهضة العربية و كان الادب الهندي و الاغريقي يعتبران مصدران مزدوجان للمعرفة الرئيسية في مجالات العلوم و الفلسفة و الأدب فبدأ الباحثون من البلدان العربية و ايران و اسيا الوسطى يتوافدون إلى الهند و يكتبون عن العلوم الهندية و الفلسفة و الديانة و الاعراف الاجتماعية و من بين الكتب البارزة لذلك العصر كتاب الهند لصاحبه البيروني و الذي يتناول كافة جوانب الحياة و المعرفة و الساحة الاجتماعية للهند و من الغريب انه بينما كان الباحثون من هذه المناطق يحاولون الحصول على ثروة المعرفة الهندية و استيعابها في مجالاتهم فإن الباحثين الهنود لم يكونوا على وعي بما كان هناك من تطورات خارج الهند فبدت هناك عزلة كاملة للباحثين الهنود حتى القرن العاشر مما جعل البيروني يقول انه إذا أردنا ان نقول لبعض الباحثين في الهند ان هناك باحثين بارزين في خراسان لما صدقوا ذلك ابدا

و كانت هذه الظاهرة على عكس الفترة السابقة التي كان للباحثون الهنود فيها على معرفة مباشرة عن التطورات خارج الهند و يتضح هذا من ملاحظات فارها ميرا الذي اعترف بمساهمة لا بأس بها قدمها الباحثون الإغريق و الجدير بالذكر على سبيل المثال هو التطورات التي شهدتها الهند قبل وصول

الباحثين المهاجرين و في مجال الرياضيات احرز تقدم ملموس قبل مجيء الباحثين المهاجرين من إيران و غرب آسيا و آسيا الوسطى فبعد سريدهارا بساريا (٩٩١م) و سريباتي (٥٩ - ٣٩ ام) و بهاسكارا بشاريا الثاني (١١١٥م) من علما الرب صباب و الملكيات البارزين لذلك العصر و قام الأخيران باكتشاف طريقة حل معادلات تربيعية - و تناول غانيتاتيكا لصاحبه سريباتي مسائل التبديلة و التوافقية و منزلة النظرية و التناسب. و قد ترجم كتاب "ليلافاتي" الذي ألفه بهاسكارا الثاني خلال عهد الامبراطور المغولي لكبر لما كتابه الآخر بيجا غانيتا فقد تمت ترجمته في عهد الامبراطور شاهجهان من قبل عطا الله رشدي و يعد كتب الرياضات و الملكيات لهذا العصر بيانا تفسيريا واضحا عن الآرا التجريبية الخاصة بالرياضيات و الملكيات و في علم الجبر قدم بهاكارا النظرية الحديثة لتعليد العلامات و استخدام الكلمات لأجل الإشارة إلى الكميات الغير المعروفة و تتضمن أعماله أصول الحساب للتفاضل و التكامل

و قد تم احتراع عدد كبير من الآلات الملكية و استخدم بهاسكارا الثاني الآلات العديدة و في مجال الطب كان يسود هناك نظامان رئيسيان أولهما طب الاعشاب المحلية (الايورفيدا) و ثانيهما (سدها) و في طب الأعشاب قدم كل من تشارك و سوسروت اسهاما بارزا و كانت سامهيتا تعتبر نصوصا معترفا بها استخدمت مع التعليمات التي كتبت فيما بعد

اما نظام سدها الذي نال قبولا واسعا في الجنوب فاستمد كثيرا من الممارسات الخيميائية و السحرية و مقابل طب الأعشاب المحلية الذي استخدم الادوية الاعشابية ركز نظام سدها على منع تآكل جثة للبشر عن طريق استخدام الأدوية المعدنية

كما شهد القرن العاشر بداية توافد الباحثين من البلدان العربية و إيران و آسيا الوسطى جماعات و أفواجا إلى الهند بعد الغارات و الدمار الذي حصل على أيدي جنكيز خان فمعظمهم جاءوا كلاجئين و البعض منهم الآخر جاء بغية الحصول على الاعتراف و الكرامة التي كانت تمنح لهم من قبل الملوك في الهند جاء معظم الباحثين العرب إلى جنوب الهند بينما وصل الباحثون من ايران و آسيا الوسطى إلى شمال الهند و عندما ننظر إلى اسهامات هولاء الباحثين فنجد ثلاثة اتجاهات واضحة المعالم

اولا كان هناك نشاط الترجمة للكتب على نطاق واسع عن العلوم المختلفة خاصة في الرياضيات و علم الفلك و الطب و علم النجوم من اللغة السنسكريتية إلى العربية و الفارسية و ثانيا كانت تبذل الجهود لتبني المعرفة الهندية أو مزجها بمعرفة الباحثين المهاجرين و ثالثا تطوير نظم جديدة كثمرة للممارستين السابقتين و كان الانتاج العلمي في اللغة السنسكريتية في شكل منظوم نظرا إلى التقليد الشفهي لنقل المعرفة و في الوقت الذي جاء فيه الباحثون المهاجرون إلى الهند فان تكنولوجيا الورق كانت قد تميزت بمستوى رفيع من التطور و كان الورق يستخدم لنشر المعرفة و تتميز انتاجات تلك الفترة بميزات خاصة يمكن أن نلخصها فيما يلي

١ـ استخدام اللغة الغير المعقدة و السليمة (ii) التعريف بالمصطلحات المستخدمة (iii) طرح الأسئلة و تقديم حلولها (iv) تقديم النماذج للطلبة/ للقراء لحلها (v) عرض المنطق الارسطراطي المعتمد على الفلسفة الاغريقية (vi) تقديم الهدف الثلاثي للمعرفة ـ الحاجات الدينية و الزراعية و المتطلبات و الحاجات اليومية للحياة و هي اضفاء المنفعيـــة على المعرفـــــة (vii) الإستشهاد بأعمال المتخصصين و الإعتراف بأعمال الأسلاف و مناقشة

وجهة الآرا المحتلمة و تعميم الآرا في تأييد نظرية و ضعها (viii) توسيع اساس المعرفة لمعالجة المجالات الجديدة مثل (أ) الجغرافيا (ب) الجيولوجيا (ج) علم الجواهر و المجالات المتعلقة (د) المعرفة التفصيلية عن الحيوانات و النباتات (هـ) الميزيا وخاصة البصريات و الثقل النوعي الخاص و المغنطيسية و مفهوم الحركة و الزمن و الآلة لقياس الزمن (ix) جمع الفهارس و فحص الجداول و تطوير الالات لهذه الاغراض (x) ترجمة النصوص السنسكريتية و التعرف عليها و تبني معظم الميزات للتقاليد السنسكريتية. (xi) دراسة الآراء الدينية التي تعترض أحياناً سبيل الآرا العلمية الخاصة

و قد أدت الحاجات الدينية للباحثين المسلمين المهاجرين إلى إسهامات جديدة في المجالات العديدة مثل الزكاة و الصدقة و في الرياضيات و في الجغرافيا من اجل تحديد جهة القبلة و تحديد التقويم القمري و مواعيد المهرجانات و توزيع المواعيد لتقدير أوقات الصلاة في الفصول المختلفة

و قد أثرت الاحتياجات الدينية في مجال الترجمة في أوائل الفترة السابقة على سبيل المثال عندما كان كتاب براهات سمهيتا و أمه فاراهاميرا يترجم بأمر السلطان فيروز شاه تغلق فقد حذفت بعض الأبواب منه ظنا بأنها لا تطابق مبادئ الإسلام

و قد عالجت معظم الكتب حول الرياضيات قضايا خاصة بالإيرادات و نسبة الفوائد المصرفية و توزيع الأملاك و توجد فيها بعض التطورات الجذرية أيضا و تعطي سلسلة الكتب المتوفرة في الرياضيات فكرةً عن نوعية المشاكل المطلوب معالجتها مثل الأوزان و المقاييس الهندية و كذلك تلك التي جاءت من الخارج و جدول الضرب بما فيها كسر الضرب و الجداول عن الأملاك و وحدات

المساحة و النقد. لما فيما يتعلق بمجال الزراعة فإنها تناولت موضوعات الزراعة و مسح الاراضي و مساحة الاراضي و اقترحت بطرق وضع الحسابات و تقدير الضرائب و الغرامات و الرواتب و المنح الدراسية و التعويضات و المكافأة و في بعض الحالات قد تبنت طريقة لحصائية لنصا

و من التطورات المثيرة و الممتعة لتلك العصر اصلاح العملة على أيدي تودرمل و شيرازي في عهد الامبراطور أكبر فقد كشف شيرازي و حدد الانخفاض في ثقل العملة بسبب تداولها عبر فترة من الزمن و اقترح باعادة سكها

و رغم إن كتاب "ليلافاتي" لصاحبه بهاسكارا سبق أن ترجم في عهد اكبر فإن كتاب خلعة الحساب للرياضيات الذي ألفه بها الدين لمولى كان جزءا للمقررات الدراسية في المدارس غير انه كان هناك عوز التفاعل في مجال علم الهندسة و يعود سبب ذلك إلى الاختلاف في طرق معالجة الموضوع و كان علم الهندسة الهندي مقابل التقليد الاغريقي الذي تبناه الباحثون العرب مبنيا على الاستدلال حيث تكمن أصله في الطموس و التأملات الكوزموغرافية و تضمن كتاب من المقرر الدراسي حول الرياضيات تحت عنوان دستور الباب في علم الحساب و ألفه الحاج عبد الحامد في القرن الرابع عشر تعليقا مهما في المقدمة حا فيه انه بينما كانت هناك تناقضات و نزاعات في الادب و العلوم الدينية فإن الاثنان لا يختلفان في نقطة واحدة و هي أن الرياضيات هي مادة لا يوجد فيها أي نزاع أو اختلاف في الآراء

كان هناك عدد كبير من الكتب حول علم الفلك و النجوم و كان في بلاط معظم الملوك المسلمين منجمون من المسلمين و الهندوس معا لاطلاعهم على

المواعيد و الأوقات السعيدة و في علم النجوم كان تدوين الزيج يعتبر عملية مهمة و ذلك على تلك الخطوط التي وضعها أولوغ بيغ و في عهد الامبراطور اكبر قد تمت ترجمة زيج اولوغ بيغ الى اللغة السنسكريتية و يعتبر تاراساريني لصاحبه كيمالا راما سيرى هال ترجمة لزيج اولوغ بيغ و الزيج الآخير الذي تم إعداده كان زيج محمد شاهي الذي اعده جاي سينغ و قد ألف كتاب ساساهاوات عندما اعتلى اكبر إلى عرش الحكم و يتناول هذا الكتاب كلا من علم النجوم و الفلك و يجمع بين التعاليد الإسلامية و الهندية و كذلك يوفر معلومات عن تأثير النجوم في مزاج الأطفال و اختيار المواعيد للزواج و بنا البيوت و الزرع

و مع أن الاطار النظري لهذا الكتاب هو بطليموسي و لكن الجهود قد بذلت لدمج المفاهيم و المصطلحات الهندية و إضافة الى ذلك إنه يقدم تعريف المصطلحات المستخدمة في اللغات العربية و الفارسية و السنسكريتية . و سسيير عمل مهم قام به ملا محمد الجونبوري (١٦٥١ - ١٥٨٥م) و يرجع تاريخه الى القرن السابع عشر و ملاحظات متلاحمة لمرزا خير الله مهندس لحد زميل جاي سينغ الى أن مدارات الكواكب هي بيضاوية الشكل و بالإضافة إلى اعداد الزيج قام جاي سينغ بتطوير بعض الأدوات الفاسوبية الرئيسية مثل الاسطرلاب و وضع مهندر سورى الذي كان منجما لدى الامبراطور فيروزشاه تغلق في القرن الرابع عشر في كتابه يانترا راجا الذي يعد من أعماله البارزة حول الأسطرلاب

و مجال الطب هو الآخر الذي ترجم فيه عدد كبير من النصوص إلى اللغة العربية و الفارسية و سهد الطب اليوناني تغيرا بارزا من أصله العربي و طور له اسلوبا جديدا في الهند بتبني ممارسات طبية هندية و إن عددا من الأدوية التي

كان يستخدمها الأطبا اليونان خارج الهند تستخدم في طب الاعشاب المحليه مثل الافيون و العقاقير الاخرى و عدة من الأدوية الأخرى من آسيا الوسطى و إيران و الصين و أصبحت تلك الادويه التي كانت جزءاً من نظام الطب اليوناني رائجة في الهند

و في أوائل القرن الرابع عشر خلال عهد محمد بن تغلق تم اعداد كتاب يتضمن ٤٦ بابا قد خصصت الفصول الإحدى و الأربعين الأولى منه بوجه كامل للطب المختص بإحراق الزئبق و الذهب و الفضه و النحاس و ما إلى ذلك و خلال عهد سكندر لودي قام بوهو من خواص خان بإعداد كتاب حول الطب و اهم ما يتميز به هذا الكتاب هو توفير معلومات عن الاعشاب و قد ذكرت اسمائها باللغات السنسكريتية و العربيه و الفارسية و اللغات الهنديه الأخرى

و من بين التطورات الهامة لهذا العصر كتابة الموسوعات و استوعبت الموسوعه التي كتبت في عهد الامبراطور همايون (٥٦ - ١٥٣) عددا من المواد من امثال علم الفلك و الفيزيا و الجغرافيا و الجيولوجيا و الضرب بالرمل و المعدنيات و علم النباتات و الحيوانات و علم ترويض الصقور و الطب و الجراحة و الرياضيات و في الجغرافيا تبين الكتاب موقع الهند و الصين فالأولى محاطه بالبحر في الشرق و الجنوب و الغرب بينما الثانيه الواقعه بشمال الهند تحيط بها الجبال الهندية كما تصف الأنهار و الطقس و المناطق المختلفة، و يتضمن المعلومات عن المعادن المختلفه و الأماكن التي توجد و تستخدم فيها أما الأبواب الخاصة بعلم الحيوانات فتصف الحيوانات على اختلاف أنواعها بما فيها تلك التي لا توجد في الهند مثل الزرافة و النعامة و الفصل الخاص بالطب يتميز بالشمولية حيث يغطي علم وظائف الاعضاء و الأنواع المختلفة للأمراض و علاجها

و كان هناك اهتمام كبير لدى جميع الملوك بالصيد فكانوا يعينون مسئولاً خاصاً يسمى بـ امير الصيد و كانت وظيفته عبارة عن تنظيم بعثات الصيد و كان الاهتمام الخاص منصبا على بكاثر و تدريب الصقور و توجد هناك كتب مفصلة حول ترويض الصقور كما كانت عملية القبض على النمور و تدريبها لغرض الصيد من العادات المألوفة من ذلك القرن

كانت الزراعة بمثابة دعامة أساسية لدى المجتمع و لذا تركزت العناية الخاصة على تنمية تسهيلات الري عن طريق انشاء القنوات و خزانات المياه و كتب البحوث الخاصة عن الحياة النباتية و أنواع أخرى من الزروع و طرق زرع الخضروات و الاعشاب و الأسمار المختلفة و السماد اللازم استخدامه و طرق ابادة الحشرات المؤذية و خزن الخضروات و الاثمار و الظروف الجوية المناسبة للمحاصيل المختلفة

و قد انحرف معظم العمليات التنموية في مجال المنتوجات و الحرفة و المجالات الاخرى التي يمكن تلخيصها في اربع فئات أولاً التكنولوجيا النباتية و ثانيا التكنولوجيا النباتيه و ثالثا التكنولوجيا المعدنية و اخيرا تكنولوجيا المواد و المنتجات المستخدمة في الحياة اليومية و في مجال التكنولوجيا النباتيه قد بذلت الجهود لصنع ما يمكن للملوك ان يخلعوه تذكارا لذلك العصر و في المعدنية كانت العملية محصورة على عمل الآثار التذكاريه مثل العمود الحديدي في مجمع قطب بدلهي و الأعمدة الحجرية في كوتلة و قام شيرازي على كونه عالما للأصول الشرعية بتطوير ما كينة لتنظيف ماسورة البندقية و مصنع للعربات و حمام متنقل في عهد الإمبراطور اكبر و يوجد ذكره في آئين اكبري

و مدفع ملك ميدان بعلمة غولكنده ينطق بلسان حال من مهارات هذا العصر في مجال عمل المعادن و السبك و يمكن للمرء أن يلاحظ هذه المهارات التي تتجلى في عدة تماثيل بوذا و مهافيرا و الآلهة و الالهات الأخرى و في مجال البناء كانت الجهود موجهه نحو ترك بعض الأشياء النادرة للجيل القادم و بإمكان المرء أن يشهدها في منارة قطب أو القلعات في دولت آباد و غولكنده و تغلق آباد و أضفى مزيد من الاتقان على تكنولوجيا البناء مما ظهرت نتائجه في قلعة فتح بور سيكرى داعرة و القلعة الحمراء بدلهي و من بين التطورات المثيرة لذلك العصر هو الدقة في البناء الداخلي للقصور مثل الديوان العام و الديوان الخاص في القلعة الحمراء و قد تم تشييد المعابد في هذا العصر باستخدام الأحجار و المرمر بأنواع مختلفة و لا تظهر المساجد و الضرائح التي شيدت على أيدي الملوك مجرد الدقه في استخدام مواد البناء و إنما تظهر درجة رفيعة من المهارة الحرفية و شعورا رقيقاً للجمال و تميز علم المعادن بمستوى رفيع من التطور يتمثل في العربات المدرعة و الأسلحه و أنواع أخرى من الماكينات لوقاية الجسم و يذكر أبين اكبرى عدداً كبيراً من الأسلحه التي كانت تستخدم لذاك و كذلك قد تحقق النمو و التقدم في صناعة الصواريخ خلال هذا العصر و استخدمه تيبو سلطان في الحرب التي خاضها ضد البريطانيين

بالإضافة إلى ذلك بلغت تكنولوجيا سك العملات و صنع الحلي و الجواهر إلى ذروة الكمال و كان للملوك احتكار للمعادن و كان صهر المعادن يتم قرب مواقعها في الأفران من أنواع مختلفة من حيث الطول و القياس و يمكن أن نلاحظ بعض النماذج منها في قلعه امبر في جاى بور

و قام الملوك بإنشاء المصانع للأسلحه و الحلي و كانت العملات تصنع بالمواد المستخدمة في الحياة اليومية و أتاحوا فرص العمل لألوف من

لأصحاب الحرفه ذوى الكفاءة العالية و المهارة المميزة من الهند و خارجها و كان هولاء الحرفيون يقيمون في الأحياء المختلفة و هكذا أصبحت هذه الاحيا في دلهي مخصصة لأصحاب الحرف من الصين و خراسان و دمشق و بغداد و إيران و مما يقاس به مدى تقديرهم لدى الملوك أنهم تلقوا دعوات من البلاط الملكي للانضمام إلى الأسرة الملكية و قد تطورت تكنولوجيا المنتوجات بدرجة كبيرة و صنعت الملابس الدقيقة بخيوط الذهب و الفضة و كذلك قد تحقق النمو في تكنولوجيا الحرير مما تمثل في حياكه الملابس الخاصه للملوك و النبلاء و النبيلات و هناك اختراع ملموس في الملابس و خاصة في ملابس نورجهان التي حاولت دمج الطراز الهندي و الإيراني معا و قام السلطان زين العابدين لكاشمير بتطوير في صناعة السجاد و قد انشئت المراكز في الجنوب و كذلك في شمال الهند لصنع السجاد ذات تصاميم عديدة و استخدم النحاس و المواد الأخرى لصنع الأوعية الجذابة للاستخدام اليومي و تم ترويج عمل الصقل بالمصدير لطلي الأوعية النحاسية و الجدير بالذكر أن نفس الآلات قد استعملت لإنتاج المواد المستخدمة في الحياة اليومية لشخص عادي و النبلاء على السواء و كل ذلك يدل على دقة الصنعة و اتقانها

و ازدهرت تكنولوجيا الورق خلال هذا العصر فأقيمت المراكز في المناطق المختلفة للهند لإنتاج أنواع عديدة من الورق و قد تميز نوع خاص من الورق بمستوى رفيع من التطور لكتابة المخطوطات و هكذا و عند ختام القرن الثامن عشر وضع أساس جديد للتقدم الحضاري و لكن هذه العملية توقفت بسبب استعمار شبه القارة

تعريب د. فرحانة صديقي

◆◆

مساهمة الأوربيين
في تطوير الفكرة البيئية في الهند

بقلم رام تشندرا كوها

يرجع تاريخ نشأة الوعي البيئي في الهند ـ نادي الرأي ـ إلى حركة الالتصاق (بالأشجار لمنعها من القطع) التي نشأت في أبريل ١٩٧٣م و فعلا مازالت المناقشة المحتدة مستمرة على المستوى القومي منذ ربع القرن الماضي حول وضع البيئة و مدى جدوى التنميات و التوجهات و الأنظمة الاجتماعية المختلفة ـ غير أن هناك خلفية تاريخية شيقة لهذه المناقشة العامة رغم أنها باتت مغمورة إلى الآن و يمتد تاريخها إلى ماورا مائة سنة أو أكثر فقبل أكثر بكثير من حركة الالتصاق أو العناق و كارثة تشرنوبيل اللتان كانتا نقطة تحول في نمو الوعي البيئي و الاهتمام بالبيئة على النطاق الواسع ـ كان في المجتمع الهندي أناس ـ رجالا و نساء ـ يدعون الى استخدام مقتصد للموارد الطبيعيه و كافحوا لدمج إصلاح الوضع البيئي مع العداله الاجتماعية و قاموا برسم حدود تحليلي لمهم فوارق الاستعمال و إساءة استعمال الطبيعة فهما جيدا

في مدخلنا إلى تاريخ مراحل الفكر البيئي يجب علينا أن نميز بين موجتين في مجال الوعي البيئي. إحداهما عبارة عن فترة الرياده و التكهن و الأخرى هي المرحلة المتأخرة التي تحولت فيها الفكرة العقلية المحضه إلى حركة اجتماعية شعبية كانت الموجة الأولى تمتد من أواخر القرن التاسع عشر إلى بدايه الحرب العالمية الأولى و أسهم في تطوير التفكير البيئي مجموعتان

متحيرتان في تلك الفترة المفكرون الهنود الذين كانوا مرتبطين بالحركة الوطنية؛ و لفيف من الأوروبيين المستشرقين الذين كانوا يعملون داخل إطار الإدارة الاستعمارية أو خارجه ولكن بعد أن تحررت الهند الاستقلال السياسي في أغسطس ١٩٤٧م بدأ عصر إغفال المصالح البيئية عندما درجنا على سياسة إهمال الشؤون البيئية و نبذناها وراءنا ظهريا بسبب رغبتنا الجامحة للتضخم و التحري لملاحقة العالم المتطور. و بقي الوضع كذلك حتى منتصف السبعينات عندما ظهرت هذه الهموم للمرة الثانية في شكل حركة اجتماعية واضحة و صريحة وفي هذه الموجة الثانية من الوعي البيئي مهدا لأوضاع الدعم الشعبي التلقائي السريع و كانت الفرصة مواتية لبدء مناقشة شعبية ممتعة و مثيرة حول متطلبات و إمكانيات تطور مقتصد و متناسب

و قد حاولنا أن نركز في هذا المقال على إسهامات الأوروبيين في توجيه الفكر البيئي في الهند فلنبدأ بذكر ديتريس براندیس الذي كان أول مفتش عام للأحراج الهندية و الذي وضع حجر أساس الحراجة الرسمية في الهند. و دام على هذا المنصب لمدة تسع عشرة سنة من ١٨٦٤م الى ١٨٨٣م و كان رجلا ذا نشاط عظيم حيث جاس خلال أنحاء شبه القارة الهندية و جال فيها على نطاق واسع و قام بإعداد تقارير موثوق بها حول الإتجاه الذي ينبغي أن تتجهه الإدارة الحرجية في مختلف أقاليم الهند تحت الحكم البريطاني

قام براندیس بوضع مبادئ الأعمال و الخدمات الحرجية و طرق تقييمها في ضوء التقاليد المتبعة في زمانه في مجال التاحيم كما قام بإنشاء كلية لتدريب هيئة الموظفين المساعدين و اتخذ الإجراءات اللازمة ليتم تدريب كبار المسئولين في أوربا و ساعد كذلك في تأسيس معهد البحث الحراجي بمدينة دهرادون

و نحن هنا لسنا مهتمين بالمظاهر العلمية أو الإدارية في تراث براندييس بل نحاول أن نركز على ما عنده من النقاط الاجتماعية في الإدارة الحرجية و نتعرض لمفاهيمه حول المحيط الاجتماعي و السياسي الذي كان للحراجة الرسميه أن تعمل داخل إطاره في الهند و في هذه النقطة بالذات تتمير آراءه بكل جلاء و وضوح عن مواقف جميع مسؤلي الحراجة تقريبا سوا أ كانوا أوربيين أو هنودا و سوا كانوا قبله أو بعده فإن هؤلاء المسئولين يوازنون الحراجة بين العلمية تحت رعاية الدولة و بين ما درجت عليه المجتمعات الريفية من الاستخدام المالوف للأحراج حسب نظامهم التقليدي و الذي اعتبروه دوما شاذا و عشوائيا و متلافا و ضيق الافق و على هذا المنوال يبرر مسئولو الحراجة سيطرتهم الخاصة على خمس الأرباع من كتلات الأراضي الهندية مدعين بأنهم وحدهم يملكون المهارات التقنية و الكفاءة الإدارية لتدبير شئون الغابات

و بدون ريب كان ديتريش براندييس يؤمن إيمانا جازما بأن الحراجة التي هي متواصله الإنتاجية و العطاء يجب أن يعترف بموثوقيتها العلميه و يرد إليها اعتبارها و منزلتها كما كان يعتقد أن من واجب الدولة أن تمثل دورا مركزيا في الإدارة الحرجيه لكنه بكل صراحة لم يكن يشاطر شكية زملاءه في أساس معرفة المجتمعات الريفية لانه على سبيل المثال - كتب بإعجاب و تقدير حول شبكات الخمائل المقدسة المنتشرة في بقاع شبه القارة الهندية و سماها حينا بالنظام التقليدي لصيانة الأحراج و أحيانا عدها نماذج الحراجة الهندية الأهليه" و المس خلال جولاته في كثير من المقاطعات غابات مكرسة مصونة بعنايه من الدقة - على حد قوله - مثلا ما وجد من أيك شجر ديمارا كادوس بمنطقة كورغ في الجنوب و خمائل الأرز الهيكلي بمناطق هيمالايا في الشمال و على صعيد آخر من النطاق الاجتماعي أبدى إعجابه في مقالاته بالأحراج

المحفوظة التي كان يتولى تسييرها الزعماء الهنود و تأثر كثيرا بصفة خاصة بأمراء ولاية راجستان المنحدرين من سلالة راجبوت حيث كانت أحراجهم المخصصة للقنص متوفرة بطبقة النبلاء لممارسة الألعاب فيها كما أنها كانت مصدرا دائما لتزويد الفلاحين بالعلف و الخشب و إلى ذلك كانت صورة الملوك الهنود لدى البريطانيين هي صورة حكام عاجزين و منغمسين في الملذات لكن براندييس أشار إلى أن هؤلاء الراجبوت قد قدموا نموذجا رائعا بتحملهم مشاق صيانة الأدغال في مناخ جاف و قاحل و يجدر بالحكومة البريطانية و مسئولي الحراجة البريطانية أن يحذو حذوهم

كانت الحراجة الهندية في منظور براندييس في مسيس الحاجة إلى شبكة متوازية من الأحراج الحكومية المحفوظة جنبا إلى جنب مع نظام الغابات الريفية، حيث يتولى الإدارة الحكومية مسئولية الغابات البالغة الثراء من الناحية التجارية و المهمة من الوجهة التخطيطية و في الوقت ذاته تشجع الفلاحين على تسيير شئون المناطق الخارجة عن حدود تلك المحفوظات بصفة جماعية و هكذا حاول براندييس المفتش العام للأحراج الهندية ـ من خلال سلسلة من التقارير و المذكرات التي أعدها في فترة تربو على عقد من الزمان ـ أن يقنع الحكومة الاستعمارية على أن نظاما محكما من الغابات الريفية شرط أساسي لنجاح الحراجة الحكومية نجاحا مستديما

و تم إعداد أول هذه التقارير في ١٨٦٨م و كان يخص إقليم ميسور في الجنوب و كان هذا التقرير عبارة عن وثيقة تحتوي على الحجج البالغة التي تؤيد آراء براندييس و كان من بين الاقتراحات التي قدمها تعيين أحراج ريفية في كافة أنحاء إقليم ميسور حيث تتم إدارتها على أساس نظام المناوبة بين المحاصيل فتغلق المناطق الحديثة القطع و يمنع فيها الاحتطاب و الرعي

و بذلك تكون لدى كل قرية غابتها التي تخصها على نحو مثالي. و في بعض الحالات ربما تدعو الضرورة إلى تشكيل كتله من الاحراج لتتمكن من استخدامها مجموعة من القرى و توفر هذه الغابات المواد المذكورة لدناه مجانا حطب الوقود للاستهلاك المنزلي. و الفرصة تكون متاحة للفقراء بان يحتطبوا و يحملوا حزماتها للبيع كذلك، و الخشب للأدوات الزراعية و لصناعة العربات و إصلاحها، و الخشب و الخزران و العشب للغما و تخشيب الارضية و التسييج كذلك و الأوراق و الاغصان للرعي و التسميد، و يمكن الحصول على الحسب للاستعمال المنزلي و يكون كذلك في متناول يد الحرفيين للاستخدام الصناعي بدفع رسوم زهيدة . و تكون هذه الخدمات متوفرة فيما عدا المناطق المغلقة للانتاج مرة ثانية

و تضمن مشروع برانديس وضع هذه الأحراج تحت نظام إداري متوازٍ حيث يقوم حرّاج كل قرية بتدبير شئون وحدته، و يتولى مراقب العامة اشراف كافة غابات القرى في أعمال محافظة ما و بالتالي يشرف رئيس المراقبة الحرجية و تمتد دائرة إختصاصه الى المحافظة كلها و يكون مسئولا امام مساعد المراقب العام للأحراج

و كان يتوقع أن هذا النظام سوف يعطي نفقاته من غير حاجه إلى عون خارجي و تتم استخدام ما زاد عنها في برامج التطوير المحلي . و بهذه الطريقة يبدا الفلاحون يلمسون بضرورة الاهتمام بصيانة و تحسين حالة احراجهم و كان برانديس يأمل . كذلك . ان تنظيم مصلحة الأحراج للغابات الريمية سوف يفسح مجال الفرص . مع مر الأيام . إلى ان يتهيا لشخاص ممتازون من كل قرية ليتولوا مسئولية إدارة احراجهم

قدم براندیس تقريره إلى الحكومة الهندية بملاحظة هامة بأنه يتضمن الأولى من سلسلة من الخطوات التي يقترحها بشأن الأقاليم المختلفة و أنه يشتمل على بيان أنسب طرق إستعمال و تحسين وضع الأراضي القاحلة الواسعة التي هي خارجة عن حدود الغابات الحكومية، و كان هذا التقرير مقدمة لاقتراحه بوضع نظام للأحراج الاجتماعية على النطاق القومي لكن للأسف الشديد كان المسئولون الإنكليز في حكومة الهند الاستعمارية ينقصهم إستيعاب أهمية المنتجات البرية في الإقتصاد الريفي في الهند و اتكال الحياة الزراعية على منتجات الغابات إتكالا أساسيا و مطلقا و كانت تنقصهم كذلك الثقة بموثوقية المعرفة المحلية و روح المبادرة المحلية على السواء و لذلك لم تلق مقترحاته أذهانا واعية و لذانا صاغية و ذهبت أدراج الرياح لكن براندیس لم يتراجع و لم يستسلم بل استمر في مناشدة الحكومة بإنشاء الأحراج الريفية بقوة و اقتناع و دام في كفاحه خلال العقدين السابع و الثامن من القرن الثامن عشر الميلادي و مع ذلك لم تتكلل جهوده بالنجاح حسب أن مسئولي الإدارة الهندية البريطانيين كانوا يزدرون الفلاحين الهنود و عندما اتخذت الحكومة قانون الغابات الهندية في ١٨٧٨م أهملت فيه مقترحات براندیس و غلبت آراء المسئولين الإنكليز و تجسدت في صورة هذا القانون المشهور، و تمت صياغته على أساس النظرية القائلة بأنه يجب على الدولة وحدها أن تتكفل السيطرة على المناطق الحرجية و تمتلكها

لكن الحراجي الألماني براندیس كان رجلا مثابرا بصفة ملحوظة فقد لاحظ بعد أن تخلى عن منصب المفتش العام أن الحراجة النظامية مثل نبتة لحسبه و يجب أن يكون الهدف تطبيعها و أنه يمكن إنجاز خطة التطبيع على الجانب الاجتماعي بتشجيع الزعماء المحليين و كبار الإقطاعيين كما يمكن

كذلك حث المجتمعات الريفية على ان تقوم بتطوير و حماية الاحراج لاستعمالها الخاص و الح براندس ان من واجب الحكومة ان تقوم بالمبادرة في المرحلة الأخيرة و ان نظام الأحراج الاجتماعية الناجح سوف يضمن ارباحا باهظة للحكومة، و كتب اذا تم تدبير شئون هذه الاحراج على الوجه المطلوب فإنها لا تكون مجرد مصدر دائم لتغطية حاجيات الناس من الحطب و العلف - بدون ان تتحمل الحكومة لذلك تكلفة مالية - فحسب بل إنها تسهم في تطوير مؤسسات البلدية و إدارة الحكم الذاتي المحلي

و بعد تقاعده و عودته إلى المانيا، استأنف براندس الكتابة حول موضوع الاحراج الاجتماعية في سنة ١٨٩٧م و رغم انه كان قطع كافة انواع الاتصالات الرسمية مع الهند الخاصعة للاستعمار البريطاني. فانه لم يزل يولي الموضوع اهتماما عميقا و كان يرى أنه يجب على الحراجة الهندية ان تخلع عنها صفة كونها غرسة اجنبية او مؤسسة يتم تعزيزها بطرق اصطناعية متكلفة و كان اهتمامه بالموضوع متساوقا مع رؤيته الديموقراطية الواسعة حول الحراجة في شبه القارة الهندية و بنا على هذا اقترح ان يبعث انا التربة من مسئولي الحراجة الهندية إلى المانيا لدراسة نظام الحراجة النافذ المعمول هناك و يلاحظ انه لم تغرب عن ذهنه اهمية ترسيتهم في المجال الاجتماعي و التاحيمي، و اختتم مقالته بقوله انه إذا تم إرسال الحراجيين الهنود إلى المانيا فإنهم سوف يحدون ان القرى التي لها أحراج اجتماعية هي ذات رخا و ثرا و لو انها - بين لأخر - تشتكي من التهديدات التي لا مندوحة عن فرصها إذا كان نظام الإدارة جيدا و ما سيتعلم مسئولو الحراجة الهندية بهذا الصدد في المانيا سوف يكون ذا فائدة حقيقية و عظيمة لهم في الهند

و لعل براندس - في هذه المرحلة الاخيرة - يئس من أن يأخذ المسئولون البريطانيون في الهند مقترحاته بعين الاعتبار و الجد بشأن إنشا الأحراج

الريفية و من ثم لجأ إلى هذه الطريقة عبر المباشرة و ذلك أن الحراجيين الهنود الذين يتم تدريبهم في أوربا ربما يدركون بالطريقة الفضلى فوائد الأحراج الاجتماعية و على كل حال لم يزل المسؤلون الهنود - سوا هل تم تدريبهم في ألمانيا أولا - في أغلب الأحيان يعادون أي اقتراح يطالب بتشجيع المجتمعات المحلية لإدارة شئون المناطق الحرجية و الانتفاع بها و الحقيقة أن هذا الاحتكار الحكومي و اللامبالاة تجاه مطالب المجتمعات الريفية قد جعل مصلحة الغابات هدفا للإنتقاد القاسي في السنوات الأخيرة

لا تزال مصلحة الحراجة الهندية عرضة انتقاد حاد من أجل منهجها الإداري المستبد و التناقض الممتع أن مؤسسها نفسه كان قد تكهن أن الاتكال المطلق على السيطرة الحكوميه و مناهج الإدارة التأديبية سوف يؤديان إلى الاستياء الشعبي و نفور الجماهير بينما مصطلحات الحراجة الاجتماعية و الحراجة الطائفية و الإدارة الحرجية المشتركة لم تنل رواجا قبولا الآ في الآونة الأخيرة - إلّا أن أول رئيس للإدارة الحرجية في الهند كان يعترف بالمبادى التي تتضمنها و المعاني التي تحتوي عليها عن اقتناع و يقين بل كان من المعجبين بها و المتحمسين لها

و المهندس الآخر داخل إطار الإدارة الاستعمارية كان العالم الزراعي البرت هو وارد الذي تم دراسته في المواد الزراعية بجامعة كمبردج، و اشتغل في ماربادوس لمدة يسيرة و انضم إلى معهد البحث الزراعي ببوسا في ولاية بيهار سنة ١٩٠٥م و كانت زوجته غابريلا كذلك حائزة على شهادة الاختصاص في علم النبات من جامعه كيمبردج و وقف الإثنان نفسيهما لفهم نظام الحراثة الهندية و تحسين وضعها و كان أول بحثه في القمح حيث قام بتطوير عدة لضرب منه، و عم استعمالها فيما بعد في شمالي الهند على نطاق واسع كما قام بإجرا

تـجارب علـمية على التبغ و الثمار و اعساب العلف، و كان هو وارد يرى الزراعه من منظور بيئي بصفة اساسية و لذلك كان شديد الانتقاد للزراعة الحديثة التي استـخـدمت الـمواد الـمعدنية من التربه في بحثها عن العائدات السريعه و كان اهـتـمامه منصبا عـلـى تهوية التربة بصفة خاصه فقد استكشف ان الما الـمـفرط يضر بالستة مثل ما تضرها قلته و ان الأسمدة الكيمياسة و الري بلا مبالاة كلا هما يؤثران سلبا على نمو العريسة بحرمانها من الهواء

و بـعد ان فقد هو وارد ثقته بطرق البحث المحراة التي كان يسعها النظام الاسـتـعماري انتقل إلى مدينة اندور عاصمة ولايه هولكار و قام هناك بتاسيس مـعـهد لـلـصـناعة الفريسيه الذي ركز عنايته على تطوير بديل عضوي للسماد الـكـيمـيائي و توصل إلى تطوير منهج جديد لانتاج السماد باستعمال نفايات الـخـضـراوات بـبـراعـه و ذكا و هو مورد هام جدا رغم قلة استخدامه و اطلق عـلـى الـمـنـهج منهج إندور المريج و بعد عودته الى الى انكلتره اصبح داعيه مـروجا لـلـزراعـة الـعضويه التي لا تتكل على الأسمدة الكيميائيه و في الايام الـحالـيه صادف ان اطلعت على كتيب نسر في ١٩٨٤م في الولايات المتحدة حول الـزراعـة بـالطرق المقتصدة و المتناسبه و قد صدره المؤلف بإهدا ء الى البرت هـو وارد و لـكـنـه يـبدو نسيا منسيا في الهند مع انها البلاد التي انجز فيها اروع ابحاثه العلمية

و قد حاول هـو وارد ان يـبـرهن في رائعته ميثاق زراعي على ان خصب الارض اهـم ما يمتلكه النوع البشري و ان مستقبل الحضارة سيوقف على كيفية تـعاملنا معه و ان تسميم التراب بالمواد الكيميائية كانت كارثة حقيقية كبرى و قد بين هـو وارد فـي هـذا الـكتاب كيف يجب على العلما ان يتعلموا احترام الـطـبـيـعـة و استوحى من الطبيعة دروسا في الزراعة على الاسس الطبيعية و استخلصها على النحو التالي

إن لهـا الأرض لا يسـمح أبدا أن تزرع بصرف النظر عن الدواب فيها يـنبت عدة محاصيل متنوعة تبذل جهود عظيمة لصيانه التربه و وقايتها من التـآكل و تـتحول الخضار المتنوعة و فضلات الحيوانات إلى للسماد فلا يكون هـناك فـساد و لا تـلف و توازن عمليات النمو و عمليات الإنحلال بعضها بعضا و تـتخـذ تدابير وافرة لصيانة إحتياطي الخصب الواسع و تركز العناية الكبيرة لـتخزين مياه المطر و تترك الفرائس و الحيوانات كلا هما لحماية نفسها من الأذى

و بعـبارة اللـغة البيئيه الحديثة إن شعار الزراعة المتناسبة هو التنوع و اعـادة الدورة و الـصيانة و كبح الحشرات المؤذية بالوسائل الاحيائية و كان هووارد دائم الاحترام لذكا الفلاحين و قلما يلقى ذلك لدى علما الزراعه و قد لاحظت روحه الثانيه و مترجمه حياته لويس اي هووارد كان هووارد يعترف مستندا بدها الفلاحين و ربما وصف الظاهرة بحكمة الفلاحين و كان يقول عن الزرعية الهندي انهم أساتذته و كان كذلك بالغ الاحترام الفلاحين الصينيين لاستعمالهم من السماد البشري بطريقه رائعه بينما الهنود اعرضوا و رجعوا عن هده التجربة مستحوذين بالحساسية الطبقية و التجارب التي قام بها هو وارد في مدينـة اندور قدمت إلى دينا العلم مرة ثانيه الفكرة الصينية المميزة بأن كافـة انواع الـفضلات و النفايات يجب أن تعاد إلى التراب عن طريق عمليات التلاشي المـتواصله و اكد على ضرورة المشاركة بين العلما و الفلاحين في الصفحات الأخيرة من كـتابه "الميثاق الزراعي" و كتب إن طريقة تناول المشاكل الزراعية يجب أن تكون منطلقة من الحقل إلى المختبر و ليس العكس و مجرد اكتشاف الأشيا المهمة يعتبر إحرار ثلاثة أرباع المعركة و بهذا الصدد يمكن القول بأن الفلاحين و العمال اليقظين الذين قضوا حياتهم

في اتصال مباشر مع الطبيعة يستطيعون ان يكونوا مصدر عون اكبر للباحثين ولذلك تعتبر اراء الفلاحين جديرة بالاحترام في كافة دول العالم وهناك دائما اسباب معقوله لجميع الممارسات التي يقومون بها لأنهم لايزالون يعتبرون وجدهم رولدا في كثير من الاسيا مثلا الزراعه المختلطه للمحاصل المتنوعه و الرابطة مع الفلاحين و العمال سوف تساعد البحث العلمي على الإقلاع عن جميع مفاهيم الحسمة الزائفه و يجب على كافة المشاركين في العمل على الأرض و المشتغلين في العمل فيها ان يعتبروا انفسهم اخوة حراس على السواء و الشيء الوحيد الذي يميز الباحث من الفلاح في المستقبل انما هو وسيلة العلم و التجربة الواسعة التي يكتسبها من خلال الرحلات

نبدأ الحديث الان عن باطريك غيديس الاسكتلندي ولد غيديس في ١٨٥٤م وكان تلميذ وليام موريس و يوحنا رسكين و محظر الاخير بتقدير و اعتراف في وطنه و يعتبر رائد التخطيط البيئي للمدن وكان لغيديس تأثير عميق في تلاميذه بمدينة دندي و ايدنبرغ بصفته استاذا لعلم النبات و خبيرا متحمس بتخطيط المدن ويرجع سبب هذا التاثير بدائيا إلى قوة عارضته و اقناعه و قوه القدوة و كانت كتاباته كذلك ذات مفعول خاص ولو انه اقل حلا - نسبيا - وكان غيديس ذا إتجاه دولي لا يهدأ حماسه وكان دؤبا في التماس الأصدقا و المعاصرين و المشاركين في حمل اهتمامه ايما وجدوا في العالم بدات عنايته بالهند نتيجة لما ه بالصدفه مع المتنسكه الهندوكية الايرلندية سستر نيفيديتا في باريس و توثقت أواصر الصداقه بينهما ورغم انها ماتت فجأة في أوكتوبر ١٩٠٦م فإن ذكراها و إمكانيه العثور على الأتباع جذبته الى بلاد الهند وبعد ان انتهى غيديس من تاليف كتابه تطور المدن اعتزم الزيارة إلى شبه القارة الهندية مباشرة وكان يأمل ان يطوف في مدن العاصمه للحكم البريطاني بمعرضه الذي قام بتاليفه بدقة فائقة حول التاريخ المدني

وصل غيديس إلى مدراس في خريف عام ١٩١٤م و الصناديق التي تضمنت على معرض بتخطيط المدن و البلدان كانت مشحونة في سفينة أخرى، و شاءت الأقدار أمرا آخر حيث اندلعت الحرب العالمية الأولى و استهدفتها مدمرة ألمانية و أصابت و غرقت السفينة في المحيط الهندي و بذلك تلاشت نماذج الجهود التي استغرقت نصف حياته في أحشاء المحيط و بقي غيديس في الهند مشردا دونما معرض يعتمده لكن الغريب أنه غير إرادته إلى تحضير مادة أخرى لدراسة نهضة المدن و البلدان الهندية و أسباب تحولها و انحطاطها و أقام في الهند حوالي عشرة أعوام و كان في بداية أمره يعمل مصمما مستقلا للمدن ثم اشتغل كأول أستاذ لعلوم الاجتماع و التربية المدنية بجامعة بومباي جال غيديس في شبه القارة الهندية على نطاق واسع و تفاعل عن كثب مع طبقات الناس المختلفة و التقى مرتين بالمهاتما غاندي و تعرف على أني بيسانت و تصادق مع المفكر و الشاعر البنغالي رابندرانات طاغور و جاغديش تشندرا بوس و قام بإعداد خطط خمسين مدينة تقريبا خلال سنوات إقامته في الهند و كانت بعض هذه المشاريع بتفويض من الأمراء المحليين و أخرى بتكليف من الإدارة الاستعمارية و من بين المدن التي دون آراءه حول تخطيطها هي دكا في الشرق و أحمد آباد في الغرب و لاهور في الشمال و تنجا فور في الجنوب و قام بنشرها مطابع مغمورة بأعداد محدودة، و هي الآن غير متيسرة في الأسواق اللهم إلا بعض النسخ المودعة في مكتبات إسكتلنده و خطط غيديس للمدن الهندية تستحق البحث و إعادة النظر فيها من جديد، لأنها شتان ما بينها و بين التقارير الفنية المملة و ميزتها الغريبة التي اتصفت بها هي أنها موشحة بالملاحظات الطريفة و بذلك تظهر فلسفته أحيانا في أماكن هي ليست مظانها البتة

و تجلت وجهته البيئية العملية في تقاريره حول تخطيط المدن و ضمنها توصياته المتماسكة بشأن توفير الأماكن الفارغة للاستجمام و غرس الأشجار و حمايتها خاصة حول الأماكن المقدسه و توفير للقدر الكافي من الماء النقي و أبدى إعجابه بما رأى في الهند من الطرق الضيقة و أفنية المنازل الفسيحه بالأشجار المورقة، و انتقد النزعة الحديثة التي تستحسن تصميم الطرق الواسعة المغبره و كان يرى أن ذلك لا يساعد إلا في تسهيل مرور السيارات و رياضها و تثير الغبار و التلوث الأمر الذي كان يمقته مقتا شديدا و أكد على ضرورة حفظ الصهاريج و الخزانات و صيانتها كما حث على اتخاذ الإجراءات الوقائية اللازمة ضد الفيضانات بعد هطول الأمطار الغزيرة و لاحظ أنه تترتب على هذا تأثير إيجابي مفيد للمناخ و يكون بطبيعة الحال مصدرا مضمونا لمؤنة الماء و هزأ غيديس بمخاوف المهندسين الصحيين بأن تلك الخزانات المائيه ربما تشكل مخاطر الملاريا قائلا بأنه يمكن احتواء الماء بسهوله باتقاء قدر كاف من الأسماك و البطات لقمع بعوضة الملاريا و بعد أن رجع من زيارة مدينه ناسك التي تقع على مسافه ثلاثين ميلا شمالا من بومباي دعا إلى صيانة الآبار لأنها الذخائر المتواجدة من مؤن الماء و لاحظ ببصيرة نافذه أن كافة شبكات تزويد الماء تتعطل أحيانا و هي دوما عرضة لكثير من الحوادث و الأضرار المحتمله و نحن نرى في صورة هذه الآبار حكمه قديمة لتأمين الوعي للحياة و لا يمكن سدها بأي حال من الأحوال من أجل فوائدها الجمه و عبر عن رؤيته البيئيه الدقيقه الشامله ببراعة في الاقتباس الآتي و هي كلمات جديرة بأن تكتب على جدران مكاتب القائمين بأعمال التخطيط المدني في مدينة تشيناي و حيدر آباد و عدد من المدن الهنديه الأخرى يقول أن مشاكل البلديات و مهندسيها لا تعدو عن كونها مثلا إزالة مياه المجاري

او الاكتـظـاظ حينا و ترويد المياه الصافيه و وسائل الاتصال او قضايا الإسكان المـدنـي احيانا و اخرى مشكلة الامتداد السكني إلى الضواحي لكن مشكلتنا نحن المـخـطـطين تتـجـاوز الى ابعد من هذا و ذاك جميعا حيث يحتم علينا المـسـئوليه ان نستعيد من كافة هذه الاختصاصات على احسن وجه و وجهتنا تـختلف عن موقف المتخصص الذي يكب على عمله للبلوغ الى حد الكمال في دائـرة اخـتـصـاصه مهما كانت النفقات و مهما سبب من التأخير الناتج عن ذلك و إنـمـا مـوقـفـنا اشبه ما يكون بالمزارع او ربة البيت او القهرمان الذي يستغل ميـزانـيـه المـحدودة بدقه و لا يضحي بالموارد التي من شانها ان تكمي للصالح العام امعانا في إنماء مصلحه جزئيه ما

لـقـد كـان باتريك غيدس - من بين جميع المخططين - شديد الميل الى المـسا كه و التعاعل كما اشار إلى ذلك في تقريره الضافي حول مدينة إندور و يحتوي على مجلدين و قد نشر في اعداده مجهودات جبارة حيث تقول فيه

كما انه يجب على الطبيب ان يقوم بتشخيص الدا قبل ان يصف العلاج للمريض فكذلك الحال مع مخطط المدينة إنه يمعن النظر عن كثب في اوضاع المـدينة كما هي و يتساءل كيف تطورت و كيف الت إلى ما الت إليها من معاناة، و كـمـا ان الـطـبـيـب يربط المريض في عملية معالجة نفسه فكذلك يجب على على المخطط ان يساعد المواطن و يحتكم إليه و لذلك ينبغي لمن يقوم بدراسة هـذا التقرير حول اندور ان يطوف في المدينه مباشرة، و ينظر إلى الأشياء بأم عـيـنـيـه لانـه إذا كـانـت عنده هذه الخطة كدليل جزئ فإنه يستطيع أن يحقق و يمحص و يطيل التشخيص و ربما يتمكن من إسراع المداواة"

كـان غـيـديـس عـلـى وعي تام بحقيقه ان المدن الحديثة تمتاز بخصيصة اسـتـنـزاف الموارد و لذلك يوخي التوفيق بين تياري الحياة المدنية و الحياة الريفية

فلاحظ انه يمكن تمهيد طريق العودة إلى الطبيعة عن طريق غرس الأشجار و صيانه المياه لان ذلك من اللوازم الأساسية الت يتضمنها كل مشروع واف و تتحقق هذه العودة بثمارها اليانعه الحية من الهوا النقي و الما الصافي و المحيط الريفي النظيف و بعبارة روسكين تتوسع الحقول فتتخلل على الشوارع بدل أن تتضخم هي على حساب الحقول و كان يجب على العوده إلى رخا الحياة الريفيه بجمال محيطها و اتصالها المباشر بالطبيعه و لكن يجب أن تكون طريق الرجعة لو لنيا لا يتبع آثار الخطى و لا تتبع الخطوط المرسومة و بكل صراحة يجب أن نرجع - في نفس الوقت - بميزات الحياة المدنية و ندمجها في البيئة الريفية و لعب تلميذه المعروف غيديس إنتباه مخططي المدن إلى الفضائل للريفية من مشاعر الاحترام للأرض و للعمليات الزراعيه و صبر الفلاحين و الشعور بأن النمو النظامي اهم من حفظ النظام على حساب النمو (و يقاس على هذا النمو على حساب النظام كذلك)

كانت السمه المميزة في منهج تفكير غيديس تقديره و احترامه للقيم المادية و الروحية للتي القاها في التراث المحلي و تصوره السديد و معاضدته الشديدة عن للتخلي عن لدى ما يمت الى التراث بصله و أعجب بكثير من الخصائص التقليدية في التصميم المدني لدى الهنود و تنبأها و استنتقاها و بعد زيارته لبنارس تلك المدينة الدينية الرائعة - على حد قوله - سجل إنطباعه بأسلوب عاطفي حول ما لاحظ هناك من احترام للطبيعة و الحياة و عبر عن إعجابه بالهندسة التقليدية و براعه تخطيط المدن الهيكلية بجنوبي الهند في الرسائل التي كتبها إلى عائلته و كانت هذه المدن - بمنظوره - صورة و تجسيدا لروح الامل و حافزا على النمو و التقدم و آلهة الهنادك التي يسميها كثير من السذج أوثانا، هي في الحقيقة ملاجئي الحيوية و روح التطور و هي بالنظر إلى

جوانبها الكثيرة ـ و ليس كلها ـ رموز تعبر عن أقصى ما وصل إليها الإدراك البشري في تخييل الحيوية و الإشراق

إن باطريك عديس هكون في ضمير التاريخ و ينتظر لأن يكتشفه جيلنا من جديد و نعوم بإبراز دوره و تفسير أرا ه من جديد و على الحملة ربما تضطر علما البيئة الهنود الى أن يعلموا عن سخطهم الساخط لطريقه الحياة المدنيه الصناعية و يتنازلوا عن موقفهم و يتوصلوا إلى التفاهم بحقيقه أن هذه البلاد سوف تصبح أكبر بلدان العالم من حيث عدد سكان المدن حوالي سنة ٢٠٢٠م ـ و قد جربنا عواقب هذا التمدين العشوائي السريع و نقدنا سلامته من التلوث المتفاقم و الاكتظاظ و الأمراض الناشئة عنه و نقص المياه و الإسكان الوافي بالضرورة و صالة خدمات الصحة العامة، و نظام النقل الذي هو في غاية العجز عن تعطية الحاجة من ناحيه صيانه الطاقة و من الناحية البيئية كذلك إن علما البيئه الهنود يستطيعون أن يستفيدوا كثيرا من أعمال باطريك عيديس في معالجة هذه المشاكل و في جعل المدن الهنديه صالحه للسكنى

و رابع نماذجي هو الإنجليزي المتطرف و الثائر فيرير ايلوين (٦٤ ـ ١٩٠٢م) الذي اشتهر بأعماله التي تستلعب بها أنظار الشعب الهندي إلى الثروة الكامنة في ثقافة القبائل الهندية (أدى واسى) و كان قد ذهب إلى الغابة بدون تذكرة العودة ـ على حد قوله ـ و عاش هناك بين ظهراني القبائل خمسا و عشرين سنة ألف خلالها خمسا و عشرين كتابا رائعا حول تلك القبائل، قدم كذلك إسهامات متميزة في الأفكار البيئيه خلال إنجاز هذه المهمه ـ و كان ايلوين رائد علم الإنسان من الوجهة البيئية و كثير من أعماله العلمية تسلط الأضواء ببراعة على العلاقة العميقة الأساسية بين عالم الغابة و واقع حياة القبليين و حاول أن يبرهن على أن كافة القبيليين يمتازون بمعرفة عميقة للنباتات البرية

و الحيوانات الوحشية حتى إن بعضهم يستطيعون أن يقرأوا كتاب الطبيعة العظيم مثل ما يقرأ الكتاب المفتوح و يعتقد المزارعون أن الحدود المرسومة بين الغابة و المزرعة غير واضحة المعالم و أن لهم رابطة خاصة مع عالم الطبيعة و يحلو لهم أن يعتبروا أنفسهم أولاد الأرض الأم التي تطعمهم و تحنو عليهم و تحبهم

و مؤلفات ايلوين في علم الأعراق البشرية زاخرة بذكر حب المبهليين للغابة لكن القوانين التي اتخذتها الحكومة الإنكليزية بشأن الغابات و الألعاب جعلتهم منعطلين في عقر دارهم بصورة مأساوية و استشهد ايلوين المصلح في علم الانسان برجل من قبيلة غوند" و قد أعرب عن تصوره للجنة قائلا بأن الجنة عنده عبارة عن الغابة الممتدة على مساحة أميال متلاحمة بدون الحراس و كتب في ١٩٤١م إن قرار الحكومة بحفظ الغابات كان كارثة كبرى للمجتمع المبهيلي حيث منعوا من ممارسة طرق الحراثة التقليدية و أمروا بالمكث في القرى الخاصة بدل التجوال و الترحال من مكان إلى مكان و أصبح أصحاب المواشي في قلق متواصل مخافة أن تتخطى الحدود و تحملهم مسئولين بدفع غرامات باهظة و كان على الذين يسكنون في القرى المجاورة للأحراج أن يستعدوا للعمل لمصلحة الأحراج كلما أمروا بذلك و الذين سكنوا في مكان آخر أرغموا على أن يطلبوا التراخيص الحكومية قبل الحصول على أي شيء من مواد الإنتاج الحرجي، و باتت القوانين الحرجية تقطع حياتهم في كل منعطف و كان لهذه القوانين مفعول أبعد من ذلك حيث أنها حددت مجال حريتهم و ثبطت همتهم و دمرت ثقتهم بأنفسهم تم تسجيل ٢٧ حالة أساءة ضد القوانين الحرجية في سنة ٢٤ ـ ١٩٢٣م في الإقليم المركزي و منطقة برار و حدهما، و عشرة أضعافها مرت بدون أن تنتهي فيها الإجراءات العملية و من

الواضح أن مثل هذا العدد الهائل من الإساءات و الخروق لم يكن ليحدث إلا إذا كانت القوانين الحرجية مضادة للحوائج الأساسية في حياة القبليين. وقد قال لي مسئول حرجي مرة: إن ميزة قوانينا الحرجية هي أن كل قروي يسهك قانونا ما في كل يوم من حياته.

و كانت كتابات ايلوين موجهة إلى الدولة الاستعمارية و إلى أعضاء حزب المؤتمر الهندي - على السواء - الذين كانوا حكومة في انتظار خلال الأربعينات. غير أن حزب المؤتمر لم يكن يبدي كبير اهتمام تجاه حقوق القبليين. ولكن ايلوين تذكرهم بأن الأوربيين - القبليين - هم الهنود الأصليون حقا و كل شيء خارجي أو أجنبي بالمقارنة بهم. و هم الشعب الأقدم و دعاويهم الأخلاقية و حقوقهم لا تجحد لأنها ثابتة على أساس التاريخ الممتد على مدة آلاف السنوات. و لأنهم كانوا أول من كانوا هنا في هذه الأرض. ولذلك يستحقون أن يكونوا في المرتبة الأولى في اعتبارنا كذلك. و سعر بكرب متزايد عندما اطلع على أن تقرير حزب المؤتمر بشأن القبليين حذا حذو السلطات البريطانية في مطالبة الحظر على الحراثة المتنقلة. و قد أظهرت الآن دراسات ايلوين أن نظام الحراثة الذي كانت تمارسه سوريين و بايجا و جوانج و القبائل الأخرى كان نظاما قابلا للنمو و التطبيق من الناحية البيئية، و هذا يتكفل بدحض الدعاوي المتحيزة الحديثة ضد جدوى النظام القبلي. و حينما قدم القوميون توصياتهم لفرض الحظر على نظام الحراثة التقليدية كتب ايلوين بغضب إن الغابات للأوربيين. و لقد كنت أظن أن أقل ما يرجى من المتحمسين للفكرة القومية هو أنهم سوف يؤيدون الحرية للأوربيين.

إن الموضوع المحوري في دراسات ايلوين هو أهمية الغابات في الحياة القبلية. و طالب الحكومة الهندية المستقلة بإشراك القبليين بنسبة زائدة في

الإدارة الحرجية بملاحظة أن غالبية الثورات القبيلية تتمركز حول القضايا المتعلقة بالأرض و الغابة و بالرغم من أن الأوروبيين الهنود ليس لديهم حق شرعي يثبت ملكيتهم للأرض فإنهم لا يعدمون الحقوق الخلقية الجديرة بالاعتبار و بما أن القبيليين جزء من الثروة القومية مثل الغابات أو أجل شأنا منها - يجب أن تكون هناك تسوية سلمية و تكييف ودي بين الإدارة الحرجية و الجوائح القبيلية و إذا دعت الحاجة إلى القيام بعمليات التجارة الحرجية يجب أن تتولاها الجمعيات التعاونية القبيلية بدل أصحاب النفوذ من المقاولين الخصوصيين

قام فيرير ايلوين بمهام منصب رئيس لجنة قومية رفيعة المستوى لوضع السياسات الأساسية بشأن القبيليين لأكثر من مرة خلال الفترة التي اشتغل فيها موظفا في الحكومة الهندية و ظل ايلوين تحت الحكومة مرة بعد أخرى على إعادة النظر في السياسة الحرجية حتى تتم صياغتها بحيث تؤول في غايته أمرها إلى الوفاء بالحوائج القبيلية و دأب على هذا منذ أول توظيفه الرسمي إلى أن وافاه الأجل قبل أوانه في ١٩٦٤م و لم تتكلل جهوده بالنجاح و تلك الإدارة الحرجية كانت لصحب تجارية الإتجاه بصمة زائدة بعد استقلال البلاد و في أيام حياته الأخيرة كتب على أساس خبرته بعلم الإنسان - بنوع من المرارة - و عبر عن أسفه على أن ضحايا السياسة الحكومية يدعمون - ظلما - بإبادة الغابات يقول

هناك دعاية مواصلة بأن القبيليين يدمرون الأحراج و لكن لما طرح هذا السؤال على بعض القرويين عارضوا هذه الدعاية بالشكوى المماثلة قائلين بأنه كيف يتأتى لهم تدمير الأحراج و ليست عندهم شاحنات حتى إنهم غالبا ما لا يملكون عربات الثيران و أقصى ما يستطيعون فعله هو حمل أثقال الإنتاج

الحرجي على كواهلهم و بيعها في الاسواق لإعالة أسرهم، و غاية الأمر أن ذلك لا يمكن الا بعد الحصول على الترخيص الرسمي، و غاية ما يطلبونه هو الحطب للتدفئة في اشهر الشتاء أو الخشب لإعادة بناء أكواخهم أو تجديدها و مواصلة صناعات اكواخهم الصغيرة، و قالوا إنهم لا يحتاجون الى قدر كبير من الوقود لتسديد حاجة مطابخهم لقلة ذات يدهم و عدم ما يمتلكون للطبخ و بعد تبيان وضعهم بدا الحديث عن الإبادة الحرجية التي تحدث حولهم على نطاق واسع و اتسعت في ذلك كلمتهم و سأل هؤلا العربيون بأي حق يمر الإقطاعيون بقاعا واسعة من الأراضي الحرجية و لوائحها كما انهم ذكروا أن المقاولين يتخطون حدود الإتفاقية فيتركون السيارات الكوبية الضيقة في جانب و يحملون الأثقال في الشاحنات بأقدار زائدة عن السعة المرخصة بها و بطريقة أخرى يستغلون الغابة و القبليين كليهما معا و هناك اعتقاد سائد في المجتمع القبيلي بأن كافة الحجج التي تقدم لتأييد صيانة الأحراج و تطويرها إنما تهدف إلى منعهم من مطالبهم، و لدعم موقفهم يحتجون بأنه إذا كانت المسألة تتعلق بالصناعة أو بالشئون البلدية أو اشغال التطوير أو مشاريع الإصلاح و إعادة التأهيل فإن جميع هذه الحجج المعقولة تنسى و تنبذ و توضع مناطق واسعة في مصرف الدخلاء الذين يبيدون الثروة الحرجية بقسوة سوا اقتضت الحاجة ذلك أولا

و نتقدم خطوة أخرى لنبدأ الحديث عن ماديلين سلاد التي كانت إبنته لعمر البحر الذي زار غاندي في معتزله و التحق به في ١٩٢٦م و سماها غاندي و سماها ميرا بيهن - الأخت ميرا - و كان لها شأن في تمثيل دورها في مقاومة الاستعمار و اعتقلت عدة مرات من أجل ذلك

قامت ميرا بهن بتأسيس ملاذ للملاحين بقرب مدينة هري دوار المقدسة في ١٩٤٥م و سمتين إنتقلت - على طول مجرى نهر الكنغ - إلى المنطقة الواقعة

في عوالى مدينة ريس كيش حيث يتحدر النهر إلى السهول و في سنه ١٩٥٢م حولت قاعدتها مرة ثانية و انتقلت إلى وادى بهلبفنا الذي يقع داخل سلسله حبال هيمالايا، و أقامت هناك إلى ١٩٥٩م حين إضطرتها حالة صحتها المتدهورة - و ربما الاستياء كذلك سياسات حكومة الهند المستقلة - إلى الهجرة إلى نمسا

لاعرو لن فلاحي المناطق المتوسطة في سلسلة حبال هيمالايا عالة على الانساج الحرجي شأن المبيليين القاطنين في وسط الهند - الذين عمل معهم فيرير ليلوين و عاشرهم طويلا - و كانت النتيجة المنطقيه لحسابات مصلحة الاحراج الخاطئة انها بدات عملية تدريجية لاستبدال البلوط - الشجرة التي يقدرها سكان الارياف ذات قيمة عالية لكونها مصدر الوقود و العلف و السماد الورقي - بشجرة صنوبر ولها قيمة تجارية كبيرة لانها مصدر للخشب و الراتينج و كانت لهذه النقلة آثار بعيدة المدى لانها تضمنت دلالات بيئيه خطيرة، و ذلك لأن الفروة التحتية الكثيفة التي هي حصيصة غابات البلوط تتشرب نسبة كبيرة من مياه الأمطار الموسمية الهاطلة في مناطق هيمالايا ثم تتقطر هذه المياه إلى السفوح ببطء و من ثم كانت توجد تحت غابات البلوط الينابيع العذبة الباردة الجميلة التي كانت مصدرا رئيسيا لماء الشرب لدى سكان الهضاب و بمقابل ذلك صورة متباينه تماما في أرضية غابات الصنوبر تكون مغطاة بفرش رقيق من الأوراق الإبرية و طبعا قدرتها على امتصاص الماء تكون ضئيلة جدا و جوانب التلال التي يكثر فيها شجر الصنوبر لا تمسك بالماء و لا توقفه فتندفع مياه الأمطار في المنحدرات و تجرف معها التراب و الحطام و الصخور و بذلك تسهم في زيادة الفيضانات

لماذا تمحى غابات البلوط في مناطق هيمالايا؟ إذا رجعنا إلى ميرا بيهن للعثور على الأسباب التي أدت بها إلى هذه الغاية وجدنا أن تعليلها لهذه الظاهرة

يكشف عن مدى وعيها و ذكائها الحاد في فهم الأسس الاجتماعية التي تقوم عليها الإدارة الحرجية في السفوح، تقول:

الواقع ليس مجرد أن مصلحة الأحراج تقوم بنشر و غرس شجر الصنوبر بل إن أكبر أسباب إنهاء غابات البلوط هو أن مصلحة الأحراج لا تقوم بتنظيم و ضبط عملية تسبب البلوط لعلف الماشية على نحو جاد بل إنها متهجة حدا من الوجهة المالية و أنها إذا انقرضت أشجار البلوط و أخذت مكانها أشجار الصنوبر فسوف تتدفق سوقها التجاري و عندما تصبح البلوط ضعيفا و ضامرا من أجل التشذيب المفرط يجد الصنوبر مكانا لترسيخ المتمين فإذا ما نما و استغلظ و بدأ يلقي أوراقه الإبرية على الأرض فإن مصير كافة الأشجار الأخرى هو الانقراض و لا غير و تستمر ميرا بيهن فتقول لا ينبغي أن نرجع باللائمة إلى القرويين وحدهم لأنهم لنفسهم يدركون تماما خطورة سائر غابات البلوط و أنها إذا انعدمت تموت مواشيهم جوعا و تجف منابع الماء و تنحدر مياه العصابات المنصبة من أعالي المنحدرات الجبلية حمولتهم الأثيرة في بطن الوادي و بالفعل تحدث أحيانا جميع هذه البلايا على نطاق واسع و مع ذلك لا يستطيع كل قروي مقاومة نفسه و لا يستطيع أن يستنكف عن تشذيب البلوط في الأحراج الحكومية التي لا تهتم الحكومة بحمايتها و حجتهم واحدة إذا لم أقصب هذه الأشجار فسوف يقصبها أحد غيري إذن فلماذا لا أبادر و أقصبها فربما يمكن قبل مجيء أحد آخر

و رغم أن ميرا بيهن لا تعتبر موقف المجتمع القروي سببا أساسيا في تدهور الوضع البيئي لكن يبدو أن سبب ضيق الأفق و قلة التبصر الذي لاحظنا نموذجه أيضا في سلوك فلاحي السفوح يرجع إلى فقدان التنظيم الاجتماعي المشترك حيث يعتمد كل فرد من الفلاحين أنه لم يعطه نصيب طويل الأمد في

صيانة إحتياطي الاحراج و أسهم في تفاقم هذه النزعة الاتجاه التجاري الذي اتخذته مصلحة الأحراج - و هل يمكن المبام نسيء يعيد إلى البلوط منزلته الشرعية حتى نتمكن من انعاش البيئة و الحركة الإقتصاديه في مناطق هيمالايا فلنرجع إلى ميرا بيهن مرة ثانية عسى أن نجد عندها حلا المشكلة ليست عصية الحل، لأنه إذا تم تشذيب الأشجار بطريقة نظامية فإنها تستطيع أن تعطي كميه كبيرة من العلف كذلك دون الضعف و الضمور و في الوقت نفسه إذا استطعنا دفع أشجار الصنوبر المقتحمه الى الإرتفاع الصحيح أي المناطق التي تتراوح إرتفاعها بين ٣ و ٥ قدم و قمنا بإحياء غابات البلوط فإن العبء على الأشجار الموجودة سوف يتناقص سنة بعد سنة و بذلك نتوفر كمية العلف فعلا - و لكن لا يتأتي ذلك إلا بكسب ثقة القرويين و تعاونهم لأن مصلحة الاحراج وحدها لا تستطيع إنقاذ الوضع و لا تستطيع كذلك كسب ثقتهم بسهولة لأن علاقاتها مع الفلاحين متوترة جدا حتى بلغت إلى صراع عملي مكشوف في مناطق الصنوبر فلابد من ممارسة نفوذ غير رسمي لإيقاظ ثقة العامه بالنظام

يجب تنظيم لجان قروية بمساعدة من المتطوعين المحليين و كذلك تعيين الحراس القرويين الذين يعملون مع موظفي مصلحة الاحراج الميدانيين كما يتمنى أن يزاد عدد هؤلاء الموظفين و يتم تدريبهم الخصوصي بوجهة نظر جديدة نحو الفلاحين و من المعقولية بمكان أن نقوم بتنفيذ مشروع طويل الأمد و متزن للتشذيب المنضبط و إعادة غابات البلوط إلى مكانها الشرعي على نحو تدريجي، و لتباع خطة نظامية لإزالة الصنوبر من الأماكن البالغة في الإرتفاع إلى ٥٥ قدما، حيث تتلوها خطوات صيانة شجيرات البلوط النامية الصغيرة. إن غابات البلوط هي مراكز الدورة الإقتصادية الطبيعيه في

المنحدرات الجبلية من هيمالايا و إبادتها أشبه ما تكون بقطع القلب و فصله لإماتة الجسد بكامله

ارسلت ميرا بيهن بتقاريرها التي تضمنت نتائج بحثها مع الصور المتعلقة بالموضوع إلى رئيس الوزرا جواهر لال نهرو الذي قدمها بدوره إلى المسئولين المعنيين، لكن ذلك لم يرجع بفائدة و يبدو أنه لم يكن من الميسور حمل مصلحة الأحراج الهندية على تغيير مجرى سياستها

و رغم أن ميرا بيهن لم تسمع بمسريس براندیس و لم تطلع عليه على الأرجح لكنها في الحقيقة كانت تقوم بأنجيا كناجحة لدمج المبادئ الديموقراطية في الإدارة الحرجية كما أنها قامت بتسجيل ملاحظات متميزة حول المشاكل البيئية في نظام الزراعة الهندية خلال سنوات إقامتها بشمالي الهند و من هذه المشاكل تجمع المياه و تسربها على نطاق واسع و يبدو أنها مشكلة لا مفر منها في حالات الري بالقنوات و منها حراثة الأراضي التي يسقي حركها لكلا المواشي و قد أثرت هذه الحراثة سلبا في نوعية المواشي و منها مشاكل التراب المفرط كذلك و كانت ميرا بيهن تعتقد أن أبرز ميزات الحياة الحديثة هو سرعة التغيير البيئي و الإضطراب و كتبت مقالا نشر في صحيفة هندوستان تايمز اليومية في ٥/ يونيو ١٩٥٠م بينما الحضارات القديمة في افريقيا الشمالية و الشرق الأوسط إنهارت من جرا إساءة استعمال البيئة الطبيعية و قد كان الدمار الشامل يستغرق قرونا متطاولة في ذلك الزمان و لكن ما كان يستغرق ألف سنة أو أكثر في العصور القديمة يمكن إنجازه في مائة سنة فقط في العصر الراهن بفضل الماكينات و العلم الحديث

كان هم ميرا بيهن الأساسي ـ على غرار أستاذها غاندي ـ هو إصلاح الاقتصاد الريفي في الهند، و مع ذلك لم يكن اهتمامها بالبيئة الطبيعية وسيليا

مجردا، فكثيرا ما عبرت عن اتحاد روحي مع الطبيعة تراعه شعور مثل الشاعر الإنكليزي المعروف وردزورث و بأسلوب نابع عن التقليد الرومانسي الأوربي، وكان لطلقت على نفسها التابعة المخلصة للأرض الأم الخالدة العظيمة كما كتبت في أبريل ١٩٤٩م إن مأساة العصر الحديث هي أن المثقفين و الأثرياء منقطعون تماما عن أساسيات الوجود الحيوية و نمطها الأساسية هي أمنا الأرض التي تغذي الحيوانات و الخضراوات و تمدها بأسباب الحياة و الإنسان قد سلب هذا العالم الذي رسمت الطبيعة خصبه و بهجته بقسوة و أفسد نظامه كلما وجد الفرصة متاحة لذلك انه يستطيع أن يربح بعادات ناحطة لوقت ما بفضل علمه و آلته لكن مصيره المحتوم هو الدمار و الخراب، و إذا كنا نريد البقاء كجنس معافى جسديا و محترم خلقيا بين الكائنات الحية الأخرى فيجب علينا أولا أن نقوم بدراسة ظاهرة الإتزان الطبيعي و نسعى ثانيا إلى تطوير حياتنا في إطار القوانين الطبيعية

قامت بإتمام المهام - التي أسستها ميرا بيهن في مناطق هيمالايا - سيدة انجليزية أخرى سرلا بيهن (كثيرين ماري هيلمين سابقا) التي اتخذت الجنسية الهندية متأثرة بشخصية غاندي. أسست سرلا بيهن ملجأ في التلال قرب مدينة كاوساني في منطقة كوماون و كان يقع على هضبة تحيط بها مناظر الثلوج الناتئة الجمال و كان ملجأ يركز جهوده بصفة أساسية على تعليم المرأة و استقلالها اقتصاديا و كانت سرلا بهن لحياتها تضع هذه الأعمال البناءة جانبا للمشاركة العملية في الحركة القومية للإستقلال السياسي فقادت حركة تحرير الهند في ١٩٤٢م بمنطقة كوماون و كانت تطوف في القرى و المدن متنقلة من مكان الى مكان و الشرطة تطاردها و أخيرا ألقي القبض عليها و سجنت. و لما أطلق سراحها عادت الى مدرستها و مركزها للتدريب على الحرف

السدوية، و قامت ـ بعد استقلال البلاد ـ بتدريب جيل جديد من أعضاء حركة سروديا رحالا و سا ، كان من بينهم مشاندي برشاد بهت و سندرلال باهوغنا و هما اللذان قاما بإنشا حركة الالتصاق بالأشجار (المنعها من القطع و التشذيب) و تزعماها في السبعينات و قد طار صيتها الآن في العالم و عرفها القاصي و الداني. و شاركت سرلا بيهن ـ معلمتهما الخاصة ـ في بعض المظاهرات ضد الجراحة التجارية، و كتبت مقالة نعدية لاذعة ضد عجرفة الإنسان الحديث تجاه البيئة بعنوان أعيدوا الحياة إلى أرضنا الميتة و توفيت سرلا بيهن في ١٩٨م لكن ملحا لكشمي لا يزال يعمل بإخلاص لصالح المرأة و البيئة في كوماؤن تحت قيادة تلميذتها رادها بهت

و في نهاية المطاف نقوم بدراسة سريعة و تأمل في سيرمرجوري سانكيس و لاري بيكر كانت سانكيس عالمة تربوية و خبيرة بيئية، و شغلت أستاذة بجامعة سانتي نكيس حلال إقامتها في الهند خمسة عقود، و سكنت في وردها و قامت بترجمة أعمال طاغور و عابدي و شاركت في تأليف سيرة سي ليف اندريور و نعتبر أول و اهم مؤلف في الموضوع ـ و أخيرا انضمت إلى حركة أنماذ نهر نرمدا و عمرها ثمانون عاما غير أنها تعرف في بعض الأوساط لخدماتها مديرة لمدرسة البنات الرائدة بهضلب نيل غيري في جنوبي الهند. أما بيكر فقد جا إلى الهند بعد الحرب العالمية الثانية كمهندس معماري، و كان قد عرف عابدي و قرأ حول حياته و تأثر به و تزوج بطبيبة مليالية، و فتح الإثنان عيادة في داخل محافظة بتورا عار على تخوم نيبال. و لتنقل الزوجان أخيرا إلى موطن السيدة بيكر في ولاية كيرالا، و كان لاري بيكر قد بلغ من عمره ستين سنة في تلك الحين و الهنود عادة ما يتقاعدون في ذلك السن، لكنه عاد إلى مهنته الأولى و تجدد وعيه المعماري و انتعش بكشفه منازل الفلاحين التقليدية في

الهند و اشتهر في أنحاء الهند ببراعته الفنية في بناء المباني التي امتازت بابتكارها و تساوقها مع البيئة و كونها منخفضة التكلفة فوق ذلك فكان سر المنازل للعلماء كما يبنيها للقرويين الذين شردتهم الزلازل. و لا يزال يعمل إلى يومنا هذا و يتنقل في البلاد و يسافر و يبنى و عندما قامت الهند بتفجير عبوات نووية في مايو ١٩٩٨م و غمرت الصحافة الهندية موجة من البهجة و الطرب، هز ذلك مشاعره هزا و كان رد فعله ينم عن اهتمامه بالمواقف البيئية لمثل تلك الممارسات فذكر بلاد للهند بما قاله الوطني الأعظم المهاتما غاندي عن القنبلة الذرية إنها أكبر خطيئة إرتكبها العلم قط

و قد أدلى الدكتور سمويل جونسون مرة بملاحظة شهيرة أن الوطنية هي آخر ملجأ يفزع إليه الأوغاد، و الحقيقة أنها الملاذ الأول كذلك للمهتمين بالبيئة و قد كنت أمر بشوارع مدينة سملة مرة قبل سنتين إذ لفتت انتباهي لافطة المصلحة الحرجية لولاية هيماتشل برادیش، و كانت العبارة التالية مكتوبة عليها إغرسوا الأشجار لجلب الرخاء إلينا هذه هي توصية فيدا و بورانا و الواقع أنه لا يمل عدد الهنود الذين يعتقدون و يقولون أن مصدر الحركة البيئية هي كتبهم المقدسة، لكن العلمانيين يعزون الفضل في إنشاء ناموس البيئة الخضراء إلى المهاتما غاندي. أما القول بأن الميداوات مصدر للوعي البيئي فإنه توسع إلى حدما بل يكاد يكون خارجا عن حدود المعقول غير أنه لا مرا في حقيقة أن غاندي و خاصة تابعه جي ، سي كمارابا قد كتبا في وقت مبكر ببصيرة نافذة حول ضرورة إدارة شئون الموارد الطبيعية باقتصاد و تناسب متزن، و ضرورة كبح الإتلاف لصالح الكرة الأرضية - و كذلك كانت العالمة الاجتماعية رادها كمل موكرجي من الهنود الذين نضج شعورهم قبل أوانه بخطورة القضية البيئية قام جميع هؤلاء الأوربيين الذين أسلفنا ذكرهم رحالا

و نساء بإسهامات فذة في تطوير الفكر البيئي في الهند و كانت هذه الإسهامات متنوعة الجهات و في مجالات مختلفة من الحراجة الاجتماعية، إلى الزراعة المقتصدة إلى الإسكان المتناسق مع البيئة إلى تدبير شئون المياه باقتصاد و إلى التخطيط البيئي للمدن . فمن حاول أن يرسم شجرة نسب الحركة البيئية الأهلية بصحة و أصالة فإنها لا يستطيع أن يغفل بأي حال أولئك الشخصيات البارزة الجبارة من باطريك غيديس و بيتريس براسس و فيرير ليلويس و مادلين سلادي و البرت هووارد و كاثرين مارى هيمين و مارجوري سانكيس و لارى بيكر . ممن استعرضنا جهودهم في هذه الدراسة . بل إنه لابد أن يعترف بدورهم الريادى في بث الوعي البيئي في الهند و نقف معهم وقفات تأمل و تقدير

تعريب الدكتور عبد الماجد القاضي

◆◆

تأثير الهند في الثقافة العربية و ادابها

بقلم د. سعيد الزبيدي

قسم التاريخ - كليه الاداب جامعه بغداد

لقد كان للهند و العرب صلات ثقافية و حضاريه متبادلة في الفترة الإسلاميه ولأن الثقافه حقل تتلاقح فيه الافكار و الآرا و ينضج بالعطا المتبادل فكما اثر العرب في الثقافة الهندية كان للهند اثر في الثقافة العربيه ايضا فلغة الحوار بين الحضارات لغه عقلانيه و ناضجة و اساس حيوية الامه و قوتها الحضارية

و قد أثرت الثقافة الهندية في الثقافة العربية بعد ان بنيت الصلات الوثيقه بين الامتين وكانت أوائل هذه الاتصالات في عهد ابو جعفر المنصور ٥٤هـ/٧٧١م الذي استقبل في بلاطه علما الهند للاستفادة من تجاربهم و علومهم، و من اشهرهم العالم مانكا Manka الذي احضر معه رساله في الفلك يسمى "السدهانت" و عرفها العرب بـ السند هند ولم يقتصر الامر على ذلك بل شمل مجالات أخرى كالحساب و الفلك و التصوف و الطب و الكيميا و العقائد و الفلسفة و الأدب

و في مجال بحثنا هذا نركز على التأثير الهندي في الادب العربي و فنونه المختلفه، فقد التقت الثقافات العالمية اليونانية و الهندية و الفارسيه مع الثقافة العربية في بلاط الخلفا العباسيين عن طريق الترجمة وترجمت كتب

عديدة من الهندية إلى العربية مثل كليلة ودمنة و السندباد الكبير و السندباد الصغير و ادب الهند والصين و هابل في الحكمه"، و الهند في قصة هبوط آدم عليه السلام و "الديك الهندي في الرجل و المراة و حدود منطقه الهند و سانبرم و شاناق في التدبير و "بيدبا في الحكم

و ساعدت الكتب الهندية في حركة الأدب في العصر العباسي و نالت عجائب الهند موضوعات مهمه في الادب العربي و لاسيما في كتاب الجاحظ اعظم الادبا العرب و في كتابه الحيوان وصف اشهر الحيوانات في بلاد الهند و الطيور ايضاً و منها الفيل و الطاوؤس و الببغا و الدجاج و الكركس و الديك الهندي و ذكر فضل الهند في الحساب

و اشار ابن قتيبة في كتابه عيون الاخبار إلى الهند و ما فيها من اشجار و اوراد ثم المسعودي في مروج الذهب و المعلومات الجدية عن رحلاته و ذكر عن الفيل بالهند و وصفها و مكانتها و ذكر ايضا الشطرنج و الزمرد و عرق الفيل في الهند

و نظم الشعرا العرب في تجاربهم عن الهند في شعرهم و الامثال السائدة و الحكم الهندية فتفاعلت الثقافتان العربية و الهندية بشكل واضح و مؤثر و تركت الثقافة الهنديه اثارها في الثقافة العربية و دخلت النظريات الفلكية عبر اللغه العربية مثل كتاب السندهند و دخلت كلمات كثيرة في العربيه مثل الزيج هندسة انتقلت إلى العربيه، و اصبح لهذه المصطلحات اثرها على الشعرا العرب الذين ذكروها في قصائدهم و وصفوا إعجابهم بها ، و منهم الشاعر الشهير ابو نواس و في النثر العربي إشارات إلى التاثر بالادب الهندي، و تعرض الكتاب العرب إلى موضوعات عن الهند و الأنهار و المدن و الاقطار

و الفلسفه ايضاً و اعجب الشعرا العرب بـ نظرية التناسخ مثل صفوان الانصاري و المتنبي و لبي العتاهية و ابو العلا المعرى الذي تاثر بالشعر الهندي، و تاثر بالبراهمة و التناسخ

و لدرت الهند في القواميس العربية و منهم الخليل بن احمد الذي وضع معجماً بالعربية متاثراً بالهنود في ترتيب لغتهم و يساعد هذا الراي البيروني الذي اكد ان الخليل بن احمد ربما سمع ان الهنود لهم موازين في الاشعار و يستدل على ذلك ان ابن النديم ذكر عدة كتب هندية ادبية ترجمت إلى العربيه منذ عصر مبكر ادب الهند و الصين و حدود المنطق و غيرهما و تحتوى على افكار لغويه و ادبية و قد دخلت افاق الثقافه الهندية في الادب العربي في بعض مجالاته مثل النثر العربي و البلاغة و البديع و تفتحت افاق الكتاب العربي واتسعت معلوماتهم و مذاهبهم و ثقافتهم و لا سيما الجاحظ الذي استفاد من الوان الثقافة الهندية و اليونانية و العربيه و جمع بينها في الفلسفه و البيئات و الحكمة و المشاهدة

و استفاد العرب من الانشطة العملية للهند مثل الشطرنج الذي اشتهر في كل انحاء العالم ثم أثر القصص الهندية في الواقع العربي بكل إعجاب و حماس سواء الشعر التقليدي لم الحديث ام الشعبي، و نقلت الكتب و القصص الهندية مثل الف ليلة و ليلة لدت فيه الهند دورا واضحا و فيه ملامح الهند واضحة بمختلف الالوان، و القصص الشعبية، و فيها قصص تدور حول السحر و عبادة الشمس الهندية الاصل، و عقيدة التناسخ و قصصها الهندية الاصل و خضعت القصص الهندية في الف ليلة و ليلة إلى مؤثرات عربية من اسما و اماكن، و الاوضاع الاجتماعية ايضا و المؤثرات العربية واضحة فيها لإتقانها على اصالتها

و نالت الهند الاهتمام في كتب المؤرخين العرب و الرحلات العربية و المفكر العربي و آدابه و ثقافته و من بين هؤلاء الرحالة التاجر سليمان السيرافي السائح العربي الذي ساح في الهند سنة ٢٣٧هـ و في كتابه سلسلة التواريخ نقل تقاليد و عادات الهنود و حكمهم و أبو زيد السيرافي و رحلته من سيراف إلى الصين ثم الهند سنة ٢٦٤ هـ و نقل حياة الهند و تقاليدها و طقوسها و أبو دلف مسعر بن المهلهل و وصل عبر الصين إلى الهند و وصف الصناعات و المزروعات الهندية و المدارس الهندية

و بزرك بن شهريار السائح إلى الهند عبر الصين و سجل مشاهداته عبر الهند و كجرات في عام ٣ هـ و أبو الحسن علي المسعودي صاحب مروج الذهب وصف الأنهار و الأديان في الهند و سواحل الهند و اللغات الهندية و بلاط الملك "كهمبايت" في عام ٢ ٣هـ و نشاط التجار المسلمين في الهند.

و أبو إسحاق الأصطخري في رحلاته في بلاد الهند عام ٣٤ هـ في كتابه الأقاليم و المسالك و الممالك و ابن حوقل الذي رحل من بغداد للأندلس و صقلية ثم الهند و وصف بشكل شامل الهند في خارطته الشهيرة و مساكنها و مناطقها مثل كشمير و التبت وغيرها

و شمس الدين أبو عبد الله المقدسي من الرحالة العرب في قرطبة و جغرافي معروف، و رحل للهند و وصف السند و الملتان بشكل دقيق في عام ٥٣٧هـ و أبو ريحان البيروني عالم الفلك و الرياضيات الشهير و الرحالة و له فضل كبير على الفكر الهندي و وصف الهند وصفا دقيقاً أدبيا و علميا في كتابه تحقيق ما للهند مصدراً هاماً في الدراسات عن الهند، و وصل الهند في عهد محمود سبكتكين الغزنوي و ظل بها عشر سنوات، و تعلّم اللغة السنسكريتية، و ترجم بعض الكتب إلى اللغة العربية في موضوعات كتبت بهذه اللغة

و قام بعدة تجارب في الهند لمعرفة مساحة الأرض، و توصل إلى نتائج عدة و تحدث عن العلوم السنسكريتيه على لختلاف انواعها بالصرف و النحو و الفلك و النجوم و للديانة و عن اشهر المدن الهندية و ذكر عرض الهند و طولها و أشهر بلدانها و المقارنة بينها و بين المدن الأخرى الشبيهة لها

و كان لهؤلا المؤرخين دورهم في الاهتمام بالهند في العلوم و الافكار و الفلسفة مثل الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) صاحب كتاب الحيوان و احمد بن يعقوب (ت ٢٩٢هـ) صاحب كتاب تاريخ اليعقوبي و قال فيهم الهند اصحاب حكمة و نظر و هم يفوقون الناس في كل حكمه و قولهم في النجوم أصح الاقاويل و صاعد الاندلسي (ت ٤٦٣هـ) خصص بابا للهند قال فيه أما الأمة الاولى - الهند لمة كبيرة العدد عظيمه العدد فخمة الممالك قد اعترف لها بالحكمة و اقر لها بالبروز في فنون المعارف جميع الملوك في العهود السابقة

و ابن خرداذبة المعرب من الخليفة المعتمد بالله في كتابه المسالك و الممالك وصف الطرق البحرية في الهند و الفرق الدينيه فيها أيضاً و تعرض لها ايضا لحرون قدامة بن جعفر و الكندي و الهمداني وغيرهم

و هكذا كان التبادل الحضاري و الثقافي قائما بين الهند و العرب في العصور السابقة و تبادلوا الحوار و السمر و الترحال، و تناقل العلوم و تبادل الاداب و الاهتمام بالحكمة و الفلسفة و العلوم

المراجع

١ احمد امين ظهر الإسلام ج١

٢ د. شوقي ضيف الفن و مذاهبه في الشعر العربي.

٣ كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي.

٤ الجاحظ، الحيوان، ج٢

٥ المسعودي، مروج الذهب.

٦ أحمد أمين، ضحى الإسلام/ ج١

٧ محمد إسماعيل الندوي، تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية.

❖❖

أهمية اللغة العربية

بقلم الاستاذ نثار احمد الفاروقي

جميع اللغات لها اهمية لأنها تكون مرآة لثقافة قوم أو منطقة جغرافية و مدنيتها و أخلاقياتها، و يمكننا أن نرى في هذه المرآة صورة منعكسة كاملة لاقتصادهم و اجتماعهم و إن شأن اللغات شأن العمران البشري ينقسم الناس إلى شعوب و أقوام و هم يقيمون في مناطق جغرافية، و تتشعب القبائل من الشعوب و القبائل تتفرع إلى أسر و عائلات، و الأسرة تتكون من أشخاص و أفراد، و بين الأشخاص يتمتع بعضهم بالنفوذ و المعالية و تمس الحاجة إليهم في كل حين و أن و بعض منهم يحتاج إليهم في حين من الأحيان ثم لا تعار لهم أية أهمية و بعض منهم يعيش حياة طويلة و بعضهم يقوم بأعمال يذكر بها بعد موته و البعض ينتقل إلى جوار ربه في شرخ شبابه و البعض يذبل ساعة تفتحه يعني يموت في نعومة أظفاره و بعض منهم يولد ميتا و بعض منهم يكون معروفا لدى كل شخص و البعض يتعرف عليه الناس بعد سنوات وغيره

الآن طبقوا كل ذلك على اللغة، إن اللغات أيضا منقسمة بين مناطق جغرافية و لها أيضا أسر مثلا أسرة اللغات السامية و أسرة اللغات الآرية و اللهجات الدراويدية و ما إليها إن الألفاظ و الكلمات أفراد هذه الأسر، بعض الكلمات يحتاج إليها الناس كل وقت، و تكون معروفة لديهم جميعا و هي من جهتها تكون مأنوسة بهم مثل كلمات الأم و الأب، و الأخت، و الأخ، و الزوجة، و الإبن، و البنت و ما إلى ذلك و هذه هي حال الكلمات المترادفة لها في سائر

اللـغـات و بـعـض الكلمات لا تعرفها إلا قلة من الناس مثل كلمة "قرع ابيق"
التـي تـطـلـق عـلـى الآلـه الـتي يستخرج بها العرق فلو سألت عنه شخصا غير
الـطـبيب فيقول إنه لا يعلمها على الإطلاق و بعض الكلمات يستأنس بها جميع
الـنـاس مـثـل الـورد و الـطـيب و النار و الما وغيره، و بعض منها تكون غير
مـعـروفـة على الاطلاق و يحتاج حتى لوسط الناس علما لمعرفتها إلى مراجعة
الـمـعـجـم انـه لا يـمكن ان تعرف مزايا الإنسان و مؤهلاتهم في نظرة واحدة بل
ربـمـا تـتـكـشـف مـحـاسن سيرته و أعماق شخصيته في سنوات عديدة و كذلك
تـتضمن الكلمات عالما من المعاني و المفاهيم و يختلف الناس كما و كيفا في
استكشاف هذه المفاهيم و المعاني

اللـغـة الـعـربيـه احـدى لـغات الأسرة السامية و العبرانية بنت خالتها
و لا تـوجـد الآن لـغـة حـيـة تتصل بـ صلة الدم باللغة العربية، و اللغة العربيه
لاتزال حية ينطق بها و سر ذلك ان كلام الله (القران المجيد) نزل في هذه اللغة
و اذا قمنا اليوم بتحليل دقيق بالنظرة الثاقبة فنخلص إلى أن تقدم العلم و الفن
و ازدهـار الـعـلـوم و الـتـقـنية جميعها الذي نشاهده اليوم انما هو بفضل القرآن
الـكـريـم و من مـعـجـزاتـه إن أول كلمة للقرآن نزل بها الوحي هي كلمة اقرا
و الـقرا ة تستلزم أن يكون هناك شي مكتوب و إلا لكان جبريل عليه السلام قال
قـل ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم لقول ما انا بقارئ ، و هذا يعنى
أن جـبـريـل قـال هـذا لـرسـول الله صلى الله عليه وسلم و جعل اللوح المحفوظ
أو جـز ا مـنـه فـي مـوقـع عـيـنـيـه و القرآن أيضا قد أشار إليه بقوله في لوح
محفوظ

إن القرآن كتاب أساسي للإسلام و نحن نؤمن بكل ما يتضمنه هذا الكتاب،
و هـو أكـبـر مصدر للأحكام الشرعية و إن الرغبة في طلب العلم التي نشأت في

المجتمع الإسلامي بعد مشرق نور الإسلام إنما كان باعثه عاطفة قراءة القرآن وإقرائه بصورة صحيحة، وفهم القرآن وإفهامه بصورة صائبة ولهذا السبب نفسه تم تدوين أشعار الجاهلية التي كانت تنتقل بالروايات الشفهية منذ ذلك العهد ورست قواعد النحو العربي، وحققت اللغة واشتقاقها وفحصت الآداب اليهودية والنصرانية لمعرفة تفاصيل قصص الأنبيا السابقين وأسماءهم وانبثت حلقات التدريس والتعليم في جميع أنحا العالم الإسلامي فظهر إلى حيز الوجود فن التفسير مثل تفسير جامع البيان لمحمد بن جرير الطبري الذي يسمى أم التفاسير وحتى مستهل هذا القرن وجد عشرون ألفا من تفسير وترجمة للقرآن الكريم بين مطبوعة ومخطوطة وقد أضيفت إليها إضافات مهمة كثيرة في هذا القرن أيضا فلو قلنا أن هناك خمسة وعشرين ألف تفسير وترجمة في الوقت الراهن لما كنا مغالين في ذلك، بينما كم من كتب ابتلعتها يد الدهر خلال أربعة عشر قرنا فضاعت أو أضيعت

إن عربية القرآن الكريم في الدرجة القصوى من الفصاحة وكل كلمة استعملت فيه أصح وأفصح لغة وقد سعى جماعة من المستشرقين في هذا القرن ترويج العامية على العربية الفصحى، وكان ذلك في الواقع ستارا لإبعاد الأمة الإسلامية من لغة القرآن، ولكن هذه المؤامرة لم تتكلل بالنجاح توجد اليوم لهجات عديدة للغة الدارجة في العالم العربي ولكن العربية الفصحى هي التي يفهمها كل شخص من اليمن إلى المغرب وهذا أيضا من إعجاز القرآن الكريم لم تزل تطرأ تغيرات بارزة على اللغات الأخرى للعالم نحوا ولهجة وأسلوبا فنرى اللغة الأردوية التي استعملها غالب و مير و ولي مختلفة من أردوية اقبال و فيض" كما نجد فارقا واضحا بين الانجليزية التي كانت رائجة على عصر تشوسر و ديكنز ، وكما نجد فارسية رودكي

و "عنصرى" مغايرة عن فارسية فرح زاد ولكن عربيه العرلي و عربية الدكتور طه حسين أو عربية المنفلوطي و أحمد امين متساوية لهجة و قواعد و إن تغيرت أسلوبا و بيانا

و الميزة الأخرى للغة العربية هي وجود تراث الأحاديث النبوية على صاحبها الصلوة و السلام فيها، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "انا أفصح العرب و العجم" و قال "أوتيت جوامع الكلم" و من المعجزات الباعثة على العجب أن اللسان المبارك الذي نطق بكلمات الوحي و جمع القرآن الكريم هو الذي نقل الأحاديث غير أن لهجتهما و طبيعتهما و طابعهما و طبيعتهما مختلفة جدا و كل من تعلم اللغة العربية لن يخلط آيات القرآن الكريم بأحاديث الرسول صلى الله عليه و سلم

ثم يوجد تراث المغازي و السير الذي جمع فيه الرواة البالغ عددهم خمسماة ألف و خمسين ألفا تقريبا كل التفاصيل ثم يوجد الفقه الإسلامي الذي قد جمع فيه الفقهاء في ضوء القرآن و السنة جميع أحكام الحلال و الحرام و المباح و المحظور، و كل من يريد أن يتعرف على الإسلام معرفة كاملة فلا يمكن له أن يفهمه بغض النظر عن القرآن و السنة و الفقه

هذه هي أهمية اللغة العربية من الناحية الدينية و هي تتمتع بالأهمية العلمية أيضا فقد بدأ فن التاريخ أول ما بدأ في اللغة العربية فتتضمن مؤلفات الخطيب البغدادي و ابن عساكر، و البلاذري و المسعودي و "الطبقات الكبرى" لابن سعد و "تاريخ الأمم و الملوك" لابن جرير الطبري تفاصيل كاملة للعالم الإسلامي فلو درسنا هذه الكتب بإمعان النظر فيتمثل التاريخ الإسلامي الممتد على خمسة عشر قرنا أمام عيوننا كأننا نشاهده في الفيلم

و إلى ذلك إن طب العرب الذي نسميه اليوم الطب اليوناني يوجد مراده الاساسي كله في اللغة العربية و إن الالوباثيا ايضا قائم على كتاب القانون للشيخ ابن سينا الذي لم يزل جزءا للمنهج الدراسي الطبي بأوروبا لسنوات عديدة

و كذلك قام العلماء العرب بنقل كتب يونانيه في فن الرياضيات و الهندسه و الفلسفة و المنطق و النجوم وغيرها إلى اللغة العربية و ألفوا مؤلفات اصيله لهم ايضا في هذه الموضوعات إن منزله ابن خلدون في فن التاريخ غير منازع حتى الآن، ولم يستطع احد ان يقوم بتحليل التاريخ كما حلله ابن خلدون و إن اساس فلسفة التاريخ لـ توين بي ايضا يرجع إلى ابن خلدون كما لا يمكن ان يحط احد من اهمية مآثر ابن رشد و ابن ماجة و ابوحيان التوحيدى في الفلسفة و هناك علوم و فنون اوجدها المسلمون لاغير، مثل أصول العقائد، و اصول التفسير و اصول الحديث، و اصول الفقه و علم الكلام و علم اسماء الرجال و ما إلى ذلك.

و الآن ننظر إلى الاهمية الثالثة و هي الاهميه الادبيه للغة العربية فحينما قرضت الأشعار و كتبت النثور و قصت القصص في اللغه العربيه كانت كثير من لغات العالم في سبات عميق إن اكبر و اغنى تراث ادبي في الشرق هو ما تحتفظه اللغة الفارسية و لاشك في ان اية لغة يحق لها ان تكون فخورة بشعرا مثل فردوسي و "انورى و "سعدى و "حافظ" وغيرهم ولكن كلمه الشعر و "الشاعر جاءت من العربية و الرديف و القافية ايضا كلمات عربية و فكروا في اي مصطلح ادبي من غزل، و قصيدة، و مثنوي، و رباعي و هجو و مدح، و مرثية و طنز و مزاح تجدون ان اصلها يرجع إلى اللغة العربية إن لفظة "الادب نفسها عربية، و إن كلمات مثل الاسلوب، و الطرز، و الفصاحة و البلاغة، و السلاسة و الصنائع و البدائع كلها نشأت في حضن اللغة العربية

و إن اللغة العربية هي التي زودت فن الشعر بمعظم رموزها محتوياتها و إن بحور الشعر هي الأخرى استعيرت من اللغة العربية

و الأهمية الرابعة هي ما يتصل بالجانب اللغوي و من مزايا اللغة العربيه أنها تحتوي على الايجاز و الإطناب أي أنه يمكن أن يعبر عن شيء واحد مكلمتين أو بمائة كلمة أيضا و هي أقوى لغات العالم و أكثرها تأثيرا و أشدها روعة و بيانا للخطابه إن اللغة الانجليزية قد أصبحت اليوم لغة عالمية و لكنها تتميز بكونها لغة التصريح المكبوح (Under statement) و من خصائص اللغة العربية أن الألفاظ تتغير فيها بسبب الإضافة أو الضمه فمثلا إن كلمات الأنس و المحبة و الوله، و الغرام مدارج مختلفة لعاطفة واحدة إذا ذهبت بالناقة إلى المورد لتسقيها فتستعمل كلمة إيراد و إذا رجعت بها بعد سقائها فتستخدم كلمة إصدار و في هذه الأيام تستخدم كلمتا الإصدار و الإيراد لـ امبورت و ايكسبورت كما نجد للناقة أو للسيف أكثر من مائة كلمة في اللغه العربية إن قواعد اللغة العربية أكمل و أشمل بحيث أنها قد استوعبت اللغه كلها لا توجد أية قاعدة للتذكير و التأنيث في اللغة الأردية، و إن الناطقين بها يميزون بينهما بحد سمعهم أن هذه اللفظة تستعمل مذكرا، و تلك الكلمه تستخدم مؤنثة و أما في العربية فقد توجد أوزان عديدة للتأنيث و الجمع المكسر و للجمع و جمع الجمع و للتفضيل و التصغير إن كانت لفظة تدل على معان عديدة في مفردها فيختلف جمع كل معنى من المعاني، مثل نفس يكون جمعه نفوس، و نفس يجمع على أنفاس و من خاصية العربية أيضا أن كل كلمة فيها تتكون من مادة تشتمل على ثلاثة حروف و إن كانت الكلمة فعلا فهي تتفرع إلى عشرة أبواب للمزيد فيه، كما تتشعب منها مشتقات أخرى، مثلا أن مادة فعل يصاغ منها باب "تفعيل و افعال و افتعال و انفعال

و استفعال وغيره للمزيد فيه كما يصاغ منها اسم الآلة على وزن مفعال و اسم التفضيل على وزن افعل و فاعول و اسم المبالغه على وزن فعال و اسم الظرف على وزن مفعل و ما الى ذلك فلو عرف انسان مادة ثلاثية الحروف و كان على علم بهذه الاوزان فيمكنه ان يفهم بواسطه معرفه هذه المادة معاني خمسين كلمة مشتقة و هذه خاصية لا توجد إلا في اللغة العربية

و مع أن العربية لغة أهل البادية، و لكن من ميزة هذه اللغة ان لغه البدو افصح و اجدر بالثقة و الاعتبار و لما خرجت هذه اللغة من جزيرة العرب بعد طلوع شمس الإسلام فأينما لغة احتكت بها صبغتها بلونها و تركت عليها طابعها فاللغة الفارسية لاتزال تحتفظ نحو خمسين في المائة من كلماتها التي يرجع اصلها إلى اللغة العربية و ان سبعين في المائة من الأسماء المستعمله في اللغة الاردية مستعارة من اللغة العربية و اما افعالها و حروفها فهي ذات اصل هندي. و لا يختلف الأمر في اللغة التركية فقد تتضمن الافا من الكلمات العربية و إن لغه الهوسا التي هي لغة افريقيا الشمالية أو لغه سواحلي فهي ايضا مدينة للعربية

الآن ننظر إلى اللغه الهندية إن كلمة هند جاءت من العربيه و نادى ذي بدء لم يكن العالم العربي يعرف إلا السندهـ فقط و كانوا يسمون هذه البلاد "السند و طبقا لعلم اللغة إن صوت س و "هـ يعوض بعضه عن بعض كما في كلمتي سبتاه و هفته" (الأسبوع) او في كلمتي سونا و هن (الذهب) فاستبدل حرف س في السندهـ بالها و ضمت اليه لفظة ستان الفارسية، حتى اصبح هندوستان" و ليس جزءها الأول هندو بل هو هند" يعني اسم هندستان مركبة من كلمتين هند و ستان"

و وفقا لقواعد اللغة العربية تضاف لاحقة الياء إلى اخر كلمة لبيان النسبة مثلا يصاغ عربي من عرب و "فارسي من "فارس و هكذا صيغ هندي من هند فلا يمكن للغة الهندية أن تكون بمنأى من تاثير اللغة العربية و أن كلمه هندو هي الاخرى كلمة عربية فـ هند فيها مبدل من سند و الحق به وى للنسبة وفق قواعد الفارسية ثم حذف حرف اليا بكثرة الاستعمال و بقى الواو فقط فصار هندو

و بالاختصار فما من لغة من اللغات الكشميرية، البنجابية، البستو، اللهندا السندية الجراتية المراتية، التيلغو، المليالية التاميلية، الكنرية البنجالية، الاسامية للبوجموريه، الدوغرية ولغة برج، إلا و هي متاثرة باللغة العربيه في قليل أو كثير هنا أضرب لكم مثالا او مثالين من اللغة الإنجليزيه

إن أبجدية اللغة الانجليزيه نفسها مستعارة من اللغة العربية فهي لا تنقص فقط تلك الاصوات العربية التي لا توجد في اللغة الانجليزية مثل ذ، ظ ض غ، و ما إلى ذلك و قد كانت حروف الهجا العربية تكتب في الماضي على طريقة حساب الجمل التي نستخدمها اليوم لمعرفة القيمة العددية للحروف فقط يعني ابجد، هوز، حطي كلمن، سعفص قرشت ثخذ، ضظغ

إن حرف C الانجليزي قائم مقام حرف ج العربي، و حتى اليوم تكتب كلمة جلال في اللغة التركية على شكل CELAL الان انظروا

ABCD بالمقارنة مع ابج د

و قد استعملت عدة حروف في الانجليزية في مكان هوز، يعني EFGHIJ فحرف "E" ينوب عن حرف هـ"، و حروف "FGH" تؤدي صوت "و"، و حتى اليوم نجد يخرج صوت و بحرفي "GH" كما في كلمة THROUGH

وكلمة THOUGH"، وحرف "U" ينوب عن حرف "ز" وهكذا تستعمل حروف "EFGHIJ" مكان هوز

وأما مجموعة كلمن فهي واضحة لا غبار عليها:

"KLMN" "ك ل م ن"

وكذلك مجموعة قرشت

"QRST" "ق ر س ت"

وأما أصوات ثخذ وضظغ فلا توجد في الانجليزية فيستعمل للثا حرفا TH ككلمة "THREE" ويعبر عن حرف خ بحرفي KH وحرف ذ بحرفي DH وغيره

وفيما يلي عدة أمثلة للكلمات الانجليزية:

CUP في العربية كوب و BUG - بق و TRACK - طريق و CRIME - حرام، و CAMEL - جمل وغير ذلك.

وقد تغير شكل بعض الكلمات العربية لدرجة أنه يحتاج إلى تحقيق أصلها فعلى سبيل المثال توجد مادة س ط ر في اللغة العربية ويراد بها كتب ونحن نسمى الخط أيضا سطرا لأن الكتابة تشكل خطا ومنها مسطر - يعني آله التسطير وفي الماضي كانت توضع العلامات بخيوط مربوطة على الورق السميك ولكن اليوم أخذنا نستخدم المسطر للأوراق المسطرة يكتب عليها الخطاطون بدل آلة التسطير ويوجد في العربية وزن افعولة الذي يعنى ما يقع عليه شيء نحو "أعجوبة ما يتعجب عليه وأضحوكة" ما يضحك عليه، وعلى هذا الوزن بالذات جاءت لفظة أسطورة التي تعني الأمر الذي يذكر" وجمعها أساطير وهي تستعمل الآن في معنى

MYTH (خرافه/اسطورة)، و منه جاء في القرآن الكريم هذا اساطير الأولين و هذه الكلمة بالذات اصبحت STORY في الانجليزية، و إن صوت الهمزة قد يعوض بالهاء فصارت هذه الكلمة HISTORY ، فسائر الكلمات التي تصاغ من STORY او HISTORY يرجع اصلها إلى اللغة العربية

هذا، و يمكن ان تعدم إليكم امثلة كثيرة بهذا الخصوص و لكن لا حاجة إلى ذلك في هذا المكان و في هذه الأيام قد اكتسبت اللغة العربية اهمية اقتصادية و معيشيه ايضا فمنذ تم اكتشاف ذخائر البترول في دول الخليج ظهرت الحاجة إلى تشغيل الأيدي الماهرة في كل مجال من مجالات، و كل ما اقول هنا بأنني اشتغل مدرسا في جامعة دلهي منذ الثلاثين سنة الماضية و لكن ما رايت احدا من طلبتنا المتخرجين لم يجد وظيفة مناسبة بل إن بعضا منهم يحصلون على الوظيفة قبل ان تعلن نتائج اختبارهم (النهائي)

و عجبا أمر المسلم فإنه في كل ساعه من الساعات تدخل وقت صلاة في صقع من اصقاع العالم فيؤذن لها و تقام الصلاة يعني لا نزال تعلو هتافات اللغة العربية و تدوي في الفضا في كل حين و آن

و حينما يولد ولد مسلم فيؤذن في اذنه يعني إنه يسمع اول ما يسمع كلمات عربية و حينما تصيب مسلما حالة الاحتضار و هو يوشك ان يودع هذه الدنيا، فمرا على مسمع منه كلمه الشهادة لكي يمكن له ان يعيد بنفسه هذه الكلمات أو ان يرتحل عن هذه الدنيا و هو يسمع هذه الكلمات و هكذا إن الكلمات الاخيرة التي تقرع اذنيه تكون كلمات عربية

و هل يمكن ان تكون اهمية اللغة العربية اكبر و اشرف من هذا

تعريب: صفدرعلي





